السيدة خديجة

زَوْجَةُ المَبْعُوثِ رَحمَة لِّلعَـالَمِينَ.. هِيَ الأولىٰ بِامْتِياز..

بقلم: عبدالعظيم المهتدي البحراني

السيدة خديجة الكبرى

زَوْجَةُ المَبْعُوثِ رَحمَة لِّلعَـالَمِينَ.. هِيَ الأولىٰ بِامْتِياز..

بقلم: عبدالعظيم المهتدي البحراني

محفوظة
جميع الحقوق

هوية الكتاب:

* الكتاب: السيِّدة خَدِيجَة زَوْجَةُ المَبْعُوثِ رَحمَة لِّلعَـالَمِينَ..
هِيَ الأولىٰ بِامْتِياز..

* المؤلف: الشيخ عبدالعظيم المهتدي البحراني.

* الطبعة: الأولى ١٤٤٣ هـ/ ٢٠٢١ م.

الناشر:

مكتب المهتدي

AlMuhtadiOffice 00973 36445446

* التنسيق والإخراج الفني: البروج ميديا:

Albrooj 00973 36611865

زَوْجَةُ المَبْعُوثِ رَحمَةً لِّلعَـالَمِينَ.. هِيَ الأولىٰ بِامْتِيَاز..

آية الكتاب

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلِلهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَىٰ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[سورة الحديد ٩ - ١٠]

رواية الكتاب

عـن الإمـام الصـادق عليه السلام قال: (لمّـا تُوُفِّيـتْ خديجة عليها السلام جَعَلَـتْ فَاطِمـةُ عليها السلام تَلُـوذُ بِرسُـولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم وتَـدُورُ حَولَـه وتَقُـول: يـا أبَـتِ أيْـنَ أُمّي؟

قـال: فَنَـزَلَ جَبرَئيـلُ عليه السلام فقـال لـه: رَبُّـكَ يَأمُـرُكَ أنْ تَقْـرَأ فاطِمـةَ السّـلامَ وتَقـولُ لَهـا: إنّ أُمَّـكِ في بَيتٍ مِن قَصَـب، كِعَابُـهُ مِـن ذَهَـب، وعَمَـدُه يَاقُـوتٌ أحْمَـر، بَـيْن آسِـيَة ومَرْيَـم بِنْـت عِمْرَان.

فَقَالتْ فاطِمةُ عليها السلام: إنّ اللهَ هُوَ السّـلامُ ومِنْهُ السّـلامُ وإليْهِ السّلام)

أمالي الشيخ الطوسي، ص ١٧٥

شعار المؤلف

«الكِتـابُ الجَيّـدُ تَقْـرَأُه مَـرّة ، وتَتَحَـدَّثُ عَنْـه مَـرّات ، وتَعمَـلُ بِـه طُـولَ الحَيَـاة».

كلمة الإهداء

باسم السيّدة خديجة زوجة نبيّ الاسلام العظيم أُهدي هذا الكتيّب الى ابنتها سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (سلام الله عليها وعلى أبيها وأمّها وبعلها وبنيها)...

سيّدتي ومولاتي.. أرجو قبولَكِ منّي هذه السطور التي حاولتُ فيها الوفاءَ ببعضِ بعضِ حقّكِ عليّ وحقّ أمّكِ العظيمة السيّدة خديجة الكبرى (سلام الله عليكما).

﴿اَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى الصِّدّيقَةِ فاطِمَةَ الزَّكِيَّةِ حَبيبَةِ حَبيبِكَ وَنَبِيِّكَ، وَاُمِّ اَحِبّائِكَ وَاَصْفِيائِكَ، الَّتي انْتَجَبْتَها وَفَضَّلْتَها وَاخْتَرْتَها عَلى نِساءِ الْعالَمينَ، اَللّهُمَّ كُنِ الطّالِبَ لَها مِمَّنْ ظَلَمَها وَاسْتَخَفَّ بِحَقِّها، وَكُنِ

الثّائِرَ اللّهُمَّ بِدَم اَوْلادِها، اَللّهُمَّ وَكَما جَعَلْتَها اُمَّ اَئِمَّةِ الهُدىٰ، وَحَليلَةَ صاحِبِ اللِّواءِ، وَالْكَريمَةَ عِنْدَ الْمَلاَءِ الاَعْلى، فَصَلِّ عَلَيْها وَعَلى اُمِّها صَلاةً تُكْرِمُ بِها وَجْهَ أبيها مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَتُقِرُّ بِها اَعْيُنَ ذُرِّيَّتِها، وَاَبْلِغْهُمْ عَنّي فى هذِهِ السّاعَةِ اَفْضَلَ التَّحِيَّةِ وَالسَّلام﴾.[1]

(١) مفاتيح الجنان

المقدّمة

تكـون المـرأةُ الصالحـة مَنهـلَ صـلاحٍ لنفسِـها ولمـن حولهـا مِـن زوجٍ وأولادٍ وأقارب وصديقات.. وسـتكون مصـدر ازعـاجٍ وتصـدُّع واضطـرابٍ وتوتُّـر لنفسِـها ولأولئـك إذا كانـت غـير صالحـة..

عـلى هـذه القاعـدة والتـي هـي أسـاس السـعادة أو التعاسـة يجـب الاهتـمامُ بالأنثى منـذ ولادتها ثـم طفولتها ثـم نموّها ثم صباهـا الى أن تنهي مرحلة الدراسـة فتنتقل الى بيـت زوجهـا فتحمـل وتدخـل مرحلـة الأمومـة.. اهتمامًـا مُمَنهَجًـا وفـق مـا قدّمه الاسـلام:

١/ مِن أصولٍ عقائديّة في توحيد الله وعدله.. والنبوّة وحكمتِها.. والإمامة ومصاديقها.. والآخرة وحسابها وعقابها وثوابها.

٢/ مِن فروعٍ عمليّة مثل الصلاة وأحكامِها ومعرفة الحكمةِ منها.. ومثل الصيام والزكاة والخمس والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتولّي أوصياء النبيّ الإثني عشر ومقام سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء والبراءة من أعدائهم أجمعين.. بالوعي الأفضل والأوسع.

٣/ مِن آدابٍ وأخلاقٍ حسنة في المجالات الفرديّة والعائليّة والاجتماعيّة والمعاشيّة والاداريّة.. بحيث تعرف كيف تتصرّف كما يتصرّف الإنسانُ الناضج الرشيد.

لابدّ من اهتمام الأنثى بنفسِها واهتمام والدَيْها بها في صياغة شخصيّتها بتلك المفردات من منظومة الاسلام الثلاثيّة الأبعاد.. كيلا تتخذها الأيادي الماكرة

دُمْيةً للشهوات وتفسيد المجتمع بمفاتنها وتحويلها الى وقود النّار في الآخرة.

إننا لمّا نحثّ على تربية الناشئة ولاسيّما فئة الإناث فلأنّ الاسلامَ سيتعطّل العملُ به متى ما تَجاهَل الآباءُ والأمّهاتُ هذا الواجبَ في الاهتمامِ التربويّ بأطفالِهم وتركوهم لوسائل الاعلام ومواقع التواصل الاجتماعي وبيئة الصداقات والمدارس والجامعات كي تُصيغَ عقليّاتِهم ونفسيّاتِهم وشخصيّاتِهم بالمقاساتِ الأجنبيّة عن دين الله العزيز..

وهذا مُخطَّطٌ مدروسٌ تقف وراءه دولٌ استعماريّة ودوائرٌ تابعة لها قد عملتْ عليه منذ قرنيْن من الزّمن عبر المناهج الدراسيّة المؤدّية الى مناهج الجامعات مدعومةً بقوانين الحكومات المستوردة أيضًا من تلك الدول.. ويتمّ تطويرها باستمرار لانتاج الجيل المتناسب مع الوضع العالمي الذي يديرونه اليوم في نظام العولمة.. جيلٍ عِلْمانيٍّ إمّا بلا التزاماتٍ دينيّة

أو تقيطع الدّين حسب ما رغبة الفرد الحُر.. فتراه يصلّي ويعصي أيضًا.. وتراها متبرّجة تذهب للحجّ بالحجاب وتعود منه بالتبرّج.. وتراه يستمع للأغاني وأيضًا يحضر موكب العزاء الحسيني.. وتراه يتسوّق في المجمّعات وزوجتُه تمشي معه بنصف حجاب وابنته تمشي معهما بلا حجاب وهو محسوب على المتديّنين!!

جيلٌ سطحيٌّ في تفكّره الديني.. يلتقط من الفكر الغربي ومن بعض القشور الدينيّة.. وأكثرهم جامعيّون وجامعيّات.. ثَقّفَتْهُم تلك المناهج على حالةِ الاعتداد بالنفس الى حدّ الاستقلال في الرأي عن الدّين الاسلامي الحنيف بطريقة غير مباشرة تحت عنوان الحرّية الشخصيّة.. فتعمّقتْ فيهم حالةُ الاستبداد والرّفض للدّين بدعوى عدم تجاوب العقل معه.. وليس هذا العقل الذي يقصدونه سوى ما أنتجتْه تلك المناهج المستوردة!!

يعني مخطّط رهيب متكامل الأضلاع أنتجتْه غرفٌ شيطانيّة مغلقة وبسرّيةٍ في بعضِها وعلنيّةٍ في بعضِها الآخر يُرادُ منه صناعةُ جيلٍ ممسوخٍ لا يحمل هَمًّا سوى هَمّ الجانب المادّي لكل ما يخدم بطنَه وفَرْجَه.. وهو ما نطلق عليه ثقافة اللذّة حتى أصبحتْ هدفًا أساسيًّا في حياتهم بل عند بعضهم هو الهدف المتقدّم على الدّين، فصار بعضهم وهو من عوائل ملتزمة بالدّين يرضخ من أجل الوظيفة الى شرط التخلّي عن الواجبات الدينيّة.. فكم من فتياتٍ رَضَخْنَ الى شرط السُّفور من أجل القبول في العمل، وكم من شبابٍ وافقوا على العمل في ملاهي الفنادق لأجل المال والحاجة، وما أكثر العلاقات المحرّمة بين الجنسيْن قد أنتجتْها صفوفُ الجامعة وثقافةُ الزمالة المفتوحة على الطريقة الأجنبيّة.. ثم برزتْ ثقافةُ الشهادة الجامعيّة وهي طامّةٌ جديدة لتكون شرطًا لقبول الشابّ المتقدّم للزواج من الفتاة.. وأمّا شرط الدّين والأخلاق عندها وعند أهلها فقابلٌ

للتأجيل!! وهذا خلافٌ صريحٌ لقول الرسول الأكرم ﷺ: (**إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**).. وهذا هو الواقع الراهن في أكثر المجتمعات اليوم بعد أن كانت الفتنةُ محدودةً وكان الفسادُ في الباطن غالبًا!!

فيما عدا القلّة العفيفة من الفتيات والنساء وبسبب تربيتِهنّ الدينيّة الخاصة أو طينتِهنّ الجِينيّة الطيّبة أو بيئتِهنّ العائليّة النظيفة جدًّا.. حيث لم يَخطفْهنّ ثالوثُ «الجامعة» و «الشهادة» و «الوظيفة» الى وادي الانحراف الفكري والانحلال الأخلاقي.. فإنّ هذا الثالوث قد أنتج الظاهرةَ المأساويّةَ التالية:

١/ الزواج بعد علاقاتِ حُبٍّ في السرّ.. ويعني هذا زواجًا على ركام من المعاصي.. وكيف تُؤْمَن عاقبةُ هذا الزواج واللهُ لم يجعل في المعاصي خيرًا؟!

٢/ الـزوج والزوجـة يعمـلان لجمـع المـال ويجهـدان وعـودان الى البيـت مُتْعَبَـيْنِ غالبًـا مـا يـترك أثـرًا سـلبيًّا عـلى مسـتويات العلاقـة الزوجيّـة.

٣/ تأخـير الانجـاب سـنوات.. بذريعـة ترتيـب الوضـع المـادّي أوّلًا.. ومـع الانجـاب والأطفال تـأتي الحاجـةُ الى الخدّامـة الأجنبيّـة (الشـغّالة).

٤/ مبلـغٌ بما يقارب نصـفَ راتب الزوجـة ولعله أكثر سـيذهب الى مكتـب الخَـدَم والى راتـب الخدّامـة شـهريًّا والى طعامِهـا وملابسِـها واحتياجاتهـا الخاصـة.. واذا مرضـتْ وجـب تخصيـصُ مـالٍ إضـافيّ لعلاجِها.. ثـم مالٍ آخـر لتجديـد اقامتِها بعـد سـنتين أو دفـع تكاليـف سـفرها الى أهلهـا وتذكـرة رجوعها إذا رغبتْ وإلا فتتكـرّر العمليّةُ مـع خدّامـةٍ جديـدة. هذا مـا عدا مشـاكل أخرى سـتحدث في ظـل وجـود الخدّامـة.. مثل:

* شَكُّ الزوجة في زوجها بعلاقةٍ بينه وبين الخدّامة مضافًا الى حُرْمةِ أصل الخَلْوة بينهما في البيت حينما تكونُ الزوجة خارج البيت!!
* وتَعامُل الخدّامة مع الأطفال بتربيتها لهم على أمورٍ خلاف الاسلام!!
* وعلاقاتها الجنسيّة المحتملة مع رجالٍ خارج البيت.. إما بخروجها اليهم في السرّ وإما تهريبهم الى البيت عبر حِيَلٍ مُلْتوية!!

والعجيب هنا أنّ الزوجَ والزوجة يتحمّلان جميعَ هذه التكاليف المالية والمشاكل والتوتّرات التي تُعكِّر صَفْو الحياة الزوجيّة أو تنتهي الى الطلاق وتفتيت الأسرة وضياع الأطفال صحيًّا ونفسيًّا وأخلاقيًّا ودراسيًّا.. ولكنّهما لا يتحمّلان أنْ تجلس الزوجةُ في بيتِها وتهتمّ بتربية أطفالها واستقبال زوجها بأحسن ما يكون دون وجود الخدّامة.. وهنا سيكون راتب زوجها كافيًا لمثل هذا العيش الرغيد وربما يزيد أيضًا في ظلّ نفسيّاتهما السعيدة وأعصابهما الهادئة...

ولكنّ العقلَ المادّي المشحون بذلك الثالوث المشئوم يدفع باتجاه ما خطّطتْ له الحضارةُ الغربيّة في تدمير بيوت المسلمين باسم دراسة الفتاة الجامعيّة وأَخْذِ الشهادة والخروج من البيت للوظيفة مع التشجيع على الاختلاط بين الجنسيْن.. ومع ذلك وعلى الرغم من تلك النتائج المدمّرة هناك الإصرار على التكرار.. ولا يهمّهم الفسادُ والمعاصي والعناءُ والمشاكلُ والطلاقُ وضياعُ الأطفال تربويًّا.. كما لا يهمّهم ضِحْكُ الأعداء على المسلمين وسرورهم بواقعهم المتخلّف!!

وكم مِن حالاتٍ رأيناها لمّا عَشِقتْ الزوجة زميلَها في العمل فَسَقَطا في وَحْل الخيانة الزوجيّة ثم ظهرتْ فضائحُهما فدخلا في نَفَقٍ مُظلَمٍ من الشّجار والمحاكم والطلاق والعداوات وربما جرائم القتل على ما يسمّى الشّرف!!

كلّ هذه المعاناة التي تبدأ بذلك الثالوث المشئوم وتنتهي الى الطلاق والى المعاصي ما قبله وما بعده إنّما

عالجتْها السيّدةُ فاطمة الزهراء عليها السلام بكلمةٍ واحدة حين سُئِلتْ: أيّ شيءٍ خيرٌ للنّساء؟ أجابتْ: (**وَخَيْرٌ لَهُنَّ أنْ لا يَرَيْنَ الرّجالَ، وَلا يَرَاهُنَّ الرّجالُ**).

وهو العلاج بالوقاية قبل الوقوع في الأزمات.. ومن هذه الوقاية أيضًا ما قاله الإمام علي عليه السلام: (**إسْتأذَنَ أعْمَى عَلَى فَاطِمة عليها السلام فَحَجَبَتْهُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها: لِمَ حَجَبْتِيه وهُو لا يَراكِ؟ فقالت عليها السلام: إنْ لم يَكُنْ يَراني فإنّي أرَاه، وهُو يَشُمّ الرّيح. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أشْهَدُ أنّكِ بَضْعَةٌ مِنّي**).

يا للأسف.. لقد باتت هذه التعليمات التربويّة يتيمةً في زماننا بسبب ثقافة اللهث وراء الأجانب بتقليدهم في أفكارهم وفي أشكالهم حتى أصبح الخروج بالملابس المُغْرِية والعطور الأخّاذة والمشي بضرب الأرجل والغَنْج والضّحك وترقيق الصوت أمورًا لا قُبْحَ فيها عند بعض المتحجّبات.. وأمّا

المتبرّجات فالمهازل بلغتْ حدّ تعطيل الدّين والحياء والعقل والأخلاق وهنّ مسلماتٌ بالهَوِيّة!!

فإنْ لم تتحرّك العوائل المؤمنة باتجاه العودة الى القيم الأصيلة للاسلام فسينطبق عليها ما تنبّأ للمؤمنين نبيُّنا العظيم ﷺ يوم نَظَرَ إِلى بَعْضِ أَطْفَالِ المسلمين فَقَالَ: **(وَيْلٌ لِأَطْفَالِ آخِرِ الزَّمَانِ مِنْ آبَائِهِمْ)**.

فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهَّ مِنْ آبَائِهِمُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ: **(لَا مِنْ آبَائِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ، لَا يُعَلِّمُونَهُمْ شَيْئاً مِنَ الْفَرَائِضِ وَإِذَا تَعَلَّمُوا أَوْلَادُهُمْ مَنَعُوهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُمْ بِعَرَضٍ يَسِيرٍ مِنَ الدُّنْيَا. فَأَنَا مِنْهُمْ بَرِيءٌ وَ هُمْ مِنِّي بِرَاءٌ)**.

هذا ورُبّ قائلٍ يقول لي: لقد بيّنتَ المشكلة وأسبابها.. ولم تُبيّنِ الحلّ؟

أقول: الحلّ أن تدرسَ الفتاةُ الى الثانويّة ثم تدرسَ العلومَ الاسلامية التي تعطيها رؤيةً متكاملةً عن الحياة الزوجية وتربية الأطفال على القيم الفاضلة. وإذا كانت

ذات مناعةٍ دينيّة قويّة ومضمونة فلتدخل الجامعة تحت إشراف أهلها الواعين ومتابعة أمورها عن كَثَب وخاصة موضوع صداقاتها في الجامعة.. فإنّ مخطّط العصابات الفاسدة والمُفسِدة هو صَيْد فتياتِ العوائل المتديّنة عبر فَخِّ الصداقات!!

لأجل كلّ هذه المخاطر المصيريّة فقد اخترتُ في هذه الدراسة شخصيّةَ المرأة الأولى في الاسلام السيّدة خديجة بنت خويلد باعتبارها الفتاة ثم الأمّ التي عاشتْ العزّ والمال والوجاهة ولكنّها حافظتْ على قِيَمِها الدينيّة حتى النهاية دون أن تفكّر في خسائرها المادّية مادامتْ هي في سلامةٍ مِن دينها ومودّةٍ ورحمةٍ مع زوجها.

هذه القدوة الصالحة يجب أن تَتّخَذها الفتياتُ والأمهات مثالًا للاحتذاء وعنوانًا للتأسّي والاقتداء.. وقد حاولتُ في كتابتي لهذا الكتيّب استخدامَ أسلوبٍ روائيٍّ جديد.. نظرًا الى رغبتهنّ غالبًا في قراءة

الروايات أكثر من رغبتهنّ في قراءة الكتب التقليديّة «الكلاسيكيّة»!

وتتأكّد الحاجةُ الى اتّخاذ السيّدة خديجة (رضوان الله عليها) قدوةً لأنّ تلك الفتيات الرائعات والأمّهات الغافلات اتّخذن سلوكَ البنات الأجنبيّات ومظاهر النساء المتبرّجات مثالًا للإقتداء فتَحَوّلْن الى مصدر تفسيدٍ للشباب والمجتمع وبالتالي خدمة شياطين الجنّ والإنس من حيث يَشعُرْنَ أو لا يَشعُرْنَ.. هذا على مستوى الدنيا وأمّا بعدها فستُؤلِمُهن خسارتُهنّ للجنّة بالحسرةِ والندامةِ مِن جهة وبعذابِ جهنّم مِن جهةٍ أخرى...

نعم.. في ظلّ هذا الواقع الخطير كان الطرحُ الايجابي لقدواتِنا الصالحة ضرورةً إصلاحيّةً ورسالةً تربويّةً وعزّةً دينيّةً وكرامةً مِن أجل الوطن الأفضل...

فنحن إذن والقِطاعُ النَّسَويُّ:

* نحتاج الى **السيّدة خديجة**.. وهي الفتاة الواعية ذاتِ الأخلاق الفاضلة والحكمة البالغة.. وذات الجمال والكمال والجلال والوجاهة.. وذات العفاف والسّتر والحجاب والحياء والمهابة...

* ونحتاج الى **السيّدة خديجة**.. وهي الزوجة الصالحة بكل المقاييس المادّية والمعنويّة.. والتي وضعتْ جميع أموالها وتجارتها في خدمة أهدافها السامية بلا حدود..

* ونحتاج الى **السيّدة خديجة**.. وهي الأمّ الحنون الصابرة المُضحِّية ذاتِ الرسالة والقناعة والشجون...

خديجة.. بهذه المراحل الثلاث من شخصيّتها النموذجيّة كانت حاضرةً في سطور كتيّبي الصغير هذا الذي بين يديك وقد حوى قصةَ حياتِها وحكايةَ نجاحاتِها بطريقةٍ جذّابة...

خديجة.. بهذه العظمة لا يجوز لفتياتِنا ونسائِنا وحتى لشبابِنا ورجالِنا أن يهمّشوها عن حياتهم

ويتَجاهلوا حضورَها معهم في كلّ مراحل شئونهم الدنيويّة وما يتصل بآخرتهم...

أنا كُلّي أملٌ ورجاء أن يقع هذا الكتيّبُ المتواضعُ موضعَ الاهتمام الأقصى عند الفتيات والأمّهات بقراءتِه أوّلًا والعمل به ثانيًا واهدائه لصديقاتهنّ ثالثًا.. فإنّ القرآن الحكيم يقول: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾.

ذلك انطلاقًا من أمْرِ الله وتحذيره عزّ وجلّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾.

مع جزيل الشكر:
عبدالعظيم المهتدي البحراني
٢٧/ محرّم الحرام/ ١٤٤٢ الموافق ٥/ ٩/ ٢٠٢١

يا أيّتُها الأولى بامتياز..

يا زَوْجَةَ رَسولِ الله سَيّدِ المُرْسَلينَ خاتَمِ النَّبيّينَ.. يا أمَّ فاطِمَةِ الزّهراءِ سَيِّدَةِ نِساءِ العالَمينَ.. يا جدّةَ الحَسَنِ والحُسَين سَيِّدَيْ شَبابِ أهلِ الجَنةِ أجمَعين والأئمةِ الطاهرينَ.. يا حفيدةَ إبراهيمَ الخَليلِ.. يا مَنْ سَلَّمَ عَلَيكِ جَبَرائيلُ، وَبَلَّغَ إليكِ السّلامَ مِنَ الله الجَليلِ.. يا سَيّدةَ الحَرَمِ ويا مَليكةَ البَطْحاءِ.. يا قِدّيسَةَ الحجاز وعنوانَ السّخاء.. يا أوّلَ مَنْ صَدَّقَ برَسولِ الله مِنَ النساء.. ووَفَتْ بالعُبودِيةِ لله حَقَّ الوَفاءِ.. وأنْفَقَتْ أمْوالَها لسَيّدِ الأنبياءِ.. يا صاحِبةَ المهابة والوجاهة في أهلها وبين قريش.. يا مالِكةَ البصيرةِ وكامِلةَ العقل ونابِغةَ الحكمة والنُّبْل...

يا أيّتها الأولى بامتياز..

يا مَن أنتِ مِن أشرافِ قريش دون مُنافِسة.. يا مَن أنتِ أميرةُ زمانِها بلا مُنازِعة.. يا مَن تلتقي في نَسَبها الشريف مع زوجها الرسول الأعظم ﷺ عند جدّها الثالثِ من طرفِ أبيها، وعند جدّها الثامن مِن طرفِ أمّها.. فهي أقربُ زوجاتِه ﷺ إليه نَسَبًا وأشرفُهنّ حَسَبًا بالتلاقي معه في جدّه قُصَيْ بن كلاب، إذ النبيُّ الكريم هو محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب. وأنتِ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزّىٰ بن قصي بن كلاب.[1]

لقد كنتِ أيّتها الفتاةُ الوجيهة قبل ظهور الاسلام بمستوى من الشّرف والعفّة والأدب والفضيلة حتى لُقِّبْتِ بـ «الطاهرة».. كلمة تعكس صورةً بديعةً عن شخصيّتكِ الفذّة في زمن الجاهلية. وأمّا بعد

(١) معلومات أوّلية مقتبسة من الكتب التي تناولتْ حياة السيّدة خديجة ونسبها (رضوان الله عليها).

ظهور الاسلام فقد لُقِّبْتِ بـ «الصدّيقة» و«المباركة» و«الراضية» و«المَرْضيّة».. ألقابٌ زادتْ على معانيكِ «الطاهرة» عناوينَ جميلة أخرى من واقع الإسلام يا صاحبةَ الجلالة يا خديجة...

يا أيّتها الأولى بامتياز..

كلماتٌ هنا سأخاطِبُكِ بها ممزوجةً بين أحاسيسي ذاتِ المودّة للقُربى وبين الأحاديث الصحيحة وبين النصوص التاريخيّة الواردة في سياق المعقول حول شخصيّتكِ الإيمانيّة. دراسةٌ صِغْتُها في قالبٍ أدبيٍّ روائيٍّ جذّابٍ لفتياتِ هذا الزّمن الرّديء.. وأملي بها أنْ أوَفَّقَ لترسيم صورتكِ الخلّابة لديهنّ.. عساهنّ يا سيّدتي يَقتدِين بكِ أو يَزْدَدْن اقتداءً بنورانيّةِ وعيكِ الوهّاج وقِيَميّةِ سعيكِ الحكيم.

فاسمحي لي يا مولاتي أنْ أبدأ مِن رُكْن زواجكِ المبارك بنبيِّ الاسلام العظيم ﷺ.. ذلك لأنّ زواجَكِ به كان أهمُّ البدايات في بُروز نجمكِ الإسلامي اللامع.. مضافًا الى أنّ نُضْج الإنسان لانطلاقتِه الناجحة في الحياة يتكوّن من دخولِه المسدَّد في عُشّ الحياة الزوجية. وهذا ما أنتِ قد رسمتِيه لنفسِكِ ببراعةٍ فوق مستوى التفوُّق.

غير أنّي أعتقد أنّ زواجكِ الميمون كان مكتوبًا عند الله ضمن قرار الاصطفاء وسُنّة الاجتباء كما سأثبتْه وكما هو عقيدتُنا، ما يعني أنّ سعيَكِ النّزيه نحو الزواج من رسول الله محمد ﷺ لم يكن بدافعٍ عاطفيٍّ ولا شخصيٍّ ولا دنيويّ أبدًا.. وإنّما كان بتسييرٍ من الغيب وتيسيرٍ من السّماء وترتيباتٍ لا يكتبُها اللهُ إلا لمن يستحقّه عبر مؤهَّلاتِه الخاصة...

فأنتِ يا خديجة هو المشروعُ المختارُ في هذا الزواجِ العظيم لتحقيق ما سينتج عنه من خيرٍ وبركاتٍ عاشها الاسلامُ ولازالتِ الأمّةُ الاسلاميّة تتهنّئ بها بعد قرون والى يوم القيامة، وإنْ كانت هذه الأمّة قد تاه أكثرُها في ظلماتِ الجهل والعداوات بسبب عدم شكرها تارةً وقلّتِه تارةً أخرى عند تغييب العمل بما أراد لها الإسلامُ الحقّ.

وهكذا يا سيّدتي أرى الأسبابَ المادّية في قصةِ زواجكِ أمورًا ظاهريّة جاءتْ في سياقِ الحركة الطبيعيّة لسننِ الحياة فقط.. والأصل فيها هو السبب الغيبي الذي أدار المشروعَ باحترافيّةٍ عاليةِ الجَوْدة. ولكنّكِ كنتِ فيها حكيمةً ونزيهةً وشريفة.. وهذا فيضٌ مِن أصلكِ الطيّب.

فـ يا أيّتها الأولى بامتياز..

لقـد بـدأتْ شـخصيّتُكِ النوعيّـةُ العظيمـة آخِـذةً في التَّجـلّي باكتشـافكِ المُبكِّر لكمالاتِ رسـول الله ﷺ قبل بِعْثتِـه.. يـوم كان يعمل في اسـتثمار تجارتكِ بأربـاحٍ كبيرة ويديـر أموالـكِ بنجـاحٍ باهر...

فمِـن ذلـك اكتشـافُكِ لـه ﷺ يـوم كان قادمًـا من سـفر الشـام مُتّجِهًـا صـوب منزلـكِ لِيُخـبرَكِ عـمّا جَلَبَ لـكِ مـن الأرباح، وكنـتِ حينَها جالسـةً مع نسـاءِ قومِكِ في موضـعٍ تسـتشرفين طريـق القوافـل العائـدة الى مكّـة، فرأيـتِ رسـولَ الله مِـن بعيـد عائـدًا بقافلتِكِ من الشـام. فقلـتِ للنسـاء الحـاضراتِ عندك: «يا هـؤلاء، أمْـا تَرينَ أنَّ لهـذا الرّجـل قَـدْراً عظيـماً؟ أمْـا تَرينَـه مُنفَـرداً وعـلى رأسِـه غمامـة تَسـيرُ بِمَسـيرِه، وتَقِـفُ لِوقوفِـه، وتَظِلُّه مِن الحَـرّ والـبرد، والطّيرُ تُرَفْـرف عليه بأجنحتِهـا، ولها زَجْلٌ وتسـبيحٌ وتمجيـدٌ وتقديـسٌ لله ربّ العالمـين، يـا ليـتَ شِـعْري مَـن هو؟!

ثم واصَلْتِ تقولين لهنّ: أظنّ هذا الرّجل يقصد حَيَّنا. فلمّا دنىٰ من منزلكِ تبيَّن أنه محمّد فقلتِ لهنّ: **هذا محمّد بن عبد الله! فاقتربَ منكِ وسَلَّم، فأجبتِيه ورفعتِ مجلسَه، فبشَّركِ بما رَزَقَكِ الله تعالى من أرباح تجارتكِ، ففرحتِ بذلك فرحاً شديداً...**[1]

ثم إنّكِ يا خديجة **يا أيّتُها الأولى بامتياز**.. لقد كنتِ تراقبين محمّدَ بن عبدالله ﷺ باعجابٍ وانبهار وتجمعين عنه الأخبار وأنتِ ترسمين عليه فكرةَ الزواج منه بإلهامٍ من الله العزيز الجبّار.. تلك هي هندسةُ السّماء التي لن تخطأ ولو بمقدار...

لقد ذكر التاريخُ يا سيّدتي تفاصيلَ مُبَعْثَرة من قصةِ زواجكِ.. وها أنا سأرتّبها لقرّائكِ الأعزّاء ولاسيّما النساء والبنات بالاختصار التالي:

(١) الهداية الكبرى، حسين بن حمدان الخصيبي: ص٥١ - ٥٤.

كان مَيْسَرة أحدَ عبيدِك الذي أرسلتِيه مع قافلةِ الشام ليخدمَ مديرَها الشابّ الصادق الأمين المسمّى بـ(محمد بن عبدالله بن عبدالمطّلب)...

فلمّا عاد ميسرة سألتيه: حَدِّثْني كيف كان سفركم؟ وما الذي عاينتُم مِن محمّد ﷺ؟ فقال لكِ: يا سيّدتي وهل أُطيق أنْ أصِفَ لكِ بعضًا مِن صفاتِه وما عاينتُ منه ﷺ؟!

ثم أخبركِ بحديث السّيْل والبِئْر والثُّعْبان والنّخْل وما أخبره الرّاهِب وما أوصاه إليكِ يا خديجة. تلك بعض عناوين الكرامات والمعاجز التي حدثتْ لرسول الله ﷺ قبل بعثتِه وأنتِ تتابعين الأمرَ بعناية الله وتسديده.

هنا قلتِ لعبدكِ ميسرة: حَسْبُكَ يا ميسرة، اذهبْ فأنتَ حُرٌّ لوجْه الله، وزوجتُك وأولادُك، ولكَ عندي مائتا درهم وراحلتان. وخَلعْتِ عليه خُلعةً

سَنِيّة.[1] وامتلأ ميسرة سرورًا وفرحاً بعطاياكِ السخيّة مقابل أخبار الكرامات التي نقلها لكِ عن محمّد...

ويا لها من حِنْكةٍ أظهرتِيها ببراعة حينما توجّهتِ إلى النبي ﷺ وسألتيه باحترامٍ كبير: يا سيّدي كيف كان سفركم؟

فأخذ ﷺ يُحدِّثكِ بما باعه وما اشتراه. فقلتِ له بأدبٍ يكشف عن إيمانكِ العميق به وأخلاقكِ الحسنة وتربيتكِ الرفيعة: **يا سيّدي لقد فرّحتَني بطلعتِكَ وأسعَدتَني برؤيتِك فلا لقيتَ بُؤْسًا ولا رأيتَ نُحُوسًا**.[2]

وفي روايةٍ أخرى ولعلّه في موقفٍ آخر قلتِ له ﷺ: **قُم إلى عمومتِك وقُل لهم يَخْطُبوني لكَ مِن أبي، ولا تَخْشَ مِن كثرةِ المهر فهو عندي.**

(١) سنيّة: رفيعة. (لسان العرب) مادة سنو.
(٢) راجع بحار الأنوار: ج١٦ ص٥٢.

ينقل المؤرِّخون: فخرج النبيّ ﷺ من عندكِ ودخل على عمّه أبي طالب عليه السلام والسُّرورُ في وجهه، فوجد أعمامَه مجتمعين، فنظر إليه أبو طالب عليه السلام وقال: يا بن أخي يَهْنَؤُك ما أعطتْك خديجة؟ وأظنّها قد غَمَرَتْكَ مِن عطاياها؟

فقال ﷺ: **يا عمّ لي إليكَ حاجة! قال: وما هي؟**

قال: تَنهَض أنتَ وأعمامي هذه الساعة إلى خُوَيْلِد وتخطبون لي منه خديجة. فاختلف أعمامُ النبيّ ﷺ بين مؤيّدٍ ومخالف وأخذوا يناقشون بعضهم البعض إذ لم يصدّقوا أنّ امرأةً بِقامةِ خديجة الوجيهة تَعْرُضُ نفسَها للزواج مِن شابٍّ فقيرٍ يتيم مثل النبيّ ﷺ.. ولكنّه قطع عليهم النقاشَ وخاطبهم: يا مَعْشَر الأعمام قد أطَلْتُم الكلامَ فيما لا فائدة فيه، قوموا واخطبوا لي خديجة مِن أبيها فما عندكُم مِن العلمِ مثل ما عندي منها.[1]

(١) راجع نفس المصدر: ج١٦ ص٥٦

لقد أضاف المؤرّخون هنا أنّ السيّدة صفيّة عمّة النبي ﷺ لمّا علمتْ برغبةِ ابن أخيها النبيّ محمد ﷺ في الزواج منكِ وبعد أنْ اطّلعتْ أنّكِ صاحبةُ المبادرة أرادتْ أنْ تتأكّدَ بنفسِها -كما هو الصحيح من سيرة نساء العوائل المحترمة- لعلمِها أنّكِ كنتِ قد رفضتِ الكثيرَ من أسياد قريش وزعماء العرب.. فهي قد خشيتْ أنْ تكوني غير جادّة في رغبتكِ، فقالتْ لأعمامه ﷺ سأذهبُ إليها وأُبيّنُ لكم الأمر.

وبينما كانت صفيّة تسير إلى داركِ، لقِيتْها بعضُ جواريكِ في الطريق فَسَبَقْنَها إلى الدار لِيُخْبِرْنَكِ بقدوم السيّدة صفيّة بنت زعيم مكّة عبدالمطلب. فنهضتِ فور سماعكِ الخبر وهيّأتِ لها المكانَ للجلوس، وهذا يا سيّدتي مِن سُمُوِّ أدبكِ وعُلُوّ معرفتِكِ بالأصول. وحينما طرقتْ صفيّةُ البابَ جِئتِ إليها بنفسكِ ورحّبتِ بها أيّما ترحيب.

فقالت لكِ السيّدة صفيّة: يا خديجة جئتُ أسألكِ عن كلامٍ!! أهو صحيح أم لا؟

فقلتِ لها: بل هو صحيح إنْ شئتِ تُخْفِيه أو شئتِ تُبْدِيه، وأنا قد خطبتُ محمّدًا ﷺ لنفسي وتحمّلتُ عنه مهري وإنّي قد علمتُ أنه مؤيَّدٌ مِن ربّ السماء. فتبسّمتْ السيّدةُ صفيّة من كلامكِ واسْتَرّتْ من جوابكِ.

كم أنتِ عظيمة يا خديجة والحكمةُ تتناثر حولكِ.. وها أنتِ لّما عَزَمَتْ السيّدةُ صفيّة على الخروج من الدار، قلتِ لها: انتظري قليلًا.. وقفتْ صفيّة لتقرأ في عينيْكِ كلماتٍ تريدين قولها.. فنَظَرتِ اليها لحظاتِ بعيونٍ مِلْئِها الابتهاج.. ثم قلتِ لها: يا صفيّة بالله عليكِ إلاّ ما أعَنْتِيني على حاجتي.

وكأنّي بصفيّة أيضًا قد بادلتْكِ سرورًا بسرور وفرحةً بفرحة وابتسامةً بابتسامة.. وهي كلُّها رضا

مقرونٌ بالعزم للوقوف معكِ في هذه المهمّة الكريمة والمصاهرة الشريفة.

رجعتْ صفيّة إلى أعمام النبيّ ﷺ فقالت لهم: يا إخوتي قوموا إنْ كنتُم قائمين فو الله إنّ لها في ابنِ أخيكُم محمّد ﷺ رغبة، ففرحوا بذلك.(١)

هنا قام أبو طالب كافلُ رسول الله محمّد ﷺ وحاميه وناصرُه فألبسَه أحسنَ الثّياب وأفخرَها وقَلّدَه سيفًا وأركَبَه على جوادِه وأحدقَ به عمومتُه مِن كلّ جانب، ثمّ ساروا حتّى وصلوا منزلَ أبيكِ خُوَيْلد الأسدي.. وكان قد سبقتْهم جواريكِ إليه. فلمّا نظر أبوكِ إلى وجهاءِ بني هاشم قام لهم ورحّب بهم فاتحًا لهم قلبَه وناشرًا لهم بِشْرُه.

فقال له أبو طالب عليه السلام: يا خُوَيْلد ما جِئْنا إلاّ لحاجةٍ وأنت تعلم قُرْبَنا منكُم ونحن في هذا الحرم

(١) راجع نفس المصدر: ج١٦ ص٥٧.

أبناءُ أبٍ واحد.. وقد جِئْنا خاطبين ابنتكَ لسيّدنا ونحن لها راغبون.

فقال أبوكِ خُوَيْلد: ومَن الخاطبُ منك؟ ومَن المخطوبةُ منّي؟

فقال له أبو طالب: الخاطبُ منّا محمّد ابن أخي والمخطوبةُ خديجة.

فلمّا سمع ذلك خُوَيْلد تَغَيَّر لونُه فرحًا وانشرح صدرُه سرورًا.. فقال: والله إنّ فيكُمُ الكفاية وأنتُم أعزُّ الخَلْق علينا ولكن خديجةَ قد مَلَكَتْ نفسَها، وعقلُها أوْفَرُ مِن عقلي.[1] إشارةً منه الى شخصيّتِكِ الكاملة وقراراتكِ الناضجة.

وأمّا عمُّكِ ورقة بن نوفل والذي كان عالِمًا بتاريخ الأديان وكنتِ كثيرًا ما تستشيرينه في أُمورِكِ وهو يستشيركِ أيضًا لرجاحةِ عقلكِ فقد ساهَم بشكلٍ كبير

(١) راجع نفس المصدر: ج١٦ ص٥٩

في ترغيبكِ للزواج من النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لاطّلاعه على أحوال نبيّ آخر الزّمان وعلاماته وكيف أنه سيتزوّج بامرأة تَسُودُ قومَها.. فعَلِمَ أنه ليست بمكّة امرأةٌ أكثر منكِ مالاً وجاهًا وشرفًا وعفافًا، فرجىٰ أن تكونَ تلك المرأة التي يتزوّجها نبيُّ آخر الزمان هي ابنة أخيه أنتِ يا خديجة.. فكان يقول لكِ: يا خديجة سوف تتصلين برجلٍ يكون أشرف أهل الأرض والسّماء.[٢]

وهذا ما ذكره مولانا الإمام الصادق عليه السلام أيضًا حينما ذَكَرَكِ قائلًا: **(وَ هِيَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، وَ قَدْ خَطَبَهَا كُلُّ صِنْدِيدٍ وَ رَئِيسٍ قَدْ أَبَتْهُمْ، فَزَوَّجَتْهُ نَفْسَهَا لِلَّذِي بَلَغَهَا مِنْ خَبَرِ بُحَيْرَاء)**.[٣]

بُحَيْرَاء هو راهبٌ مسيحيٌّ كان يعرف النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بصفاتِه وعلائمِه ونَسَبِه واسمِه قبل ظهور نبوّتِه وكان ينتظر خبرَ بعثتِه الشريفة، فكان قد أخبركِ عنه صلى الله عليه وآله وسلم..

(٢) راجع نفس المصدر: ج١٦ ص٢١
(٣) قرب الاسناد، الحميري القمي: ص ٣٢٥

فكنتِ تنتظرين هذا النبيّ لتفوزي بالزواج منه فتكوني عضيدتُه ونصيرتُه ومُعِينتُه وحبيبتُه وأمّ ذرّيتِه الطاهرة الزكيّة النجيبة...

فأنتِ يا سيّدتي ما بادرتِ الى مبادرتِك الشجاعة إلا عن وعيٍ وبصيرة وإيمانٍ وعقيدة وعن علمٍ وإلهامٍ سماويٍّ بقداسةِ النبيّ محمد ﷺ ونزاهتِه وجلالةِ قَدْرِه وشرافتِه، هذا غير تأييد الله لكِ -كما ذكرتُ- حيث كان عزّوجل يرسم لكِ الطريقَ إلى محمّد خيرِ خَلْقِه وسيّدِ رُسْلِه وأمينِه على وحْيِه فتبذلينَ له ما آتاكِ الله مِن كلّ غالٍ ونفيس في سبيل دينِه الأكمل وقرآنِه الأقوم.. فيعين بأموالكِ الفقراءَ ويقوّي بهم دعوتَه.. وهذا ما أشارتْ اليه الآيةُ: (وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ).[1]

ثم بعثتِ أربعةَ آلاف دينار إلى رسول الله ﷺ ليبعثَها إلى عمّه العباس وهو بدوره يُرْسِلَها إلى أبيكِ، وأرسلتِ مع هذا المال خُلعةً سَنِيّة، فسار بها كلٌّ من

(١) سورة الضحى/ ٨

العبّاس وأبو طالب إلى منزل أبيكِ خُوَيْلد وألبساه الخلعة. فقام أبوكِ من ساعتِه إلى داركِ وقال لكِ: يا بُنيّة ما الانتظار بالدخول؟ جهِّزي نفسَك.. فهذا مهرُك أرسلوه إليّ وأعطوني هذه الخُلعة.. وهو لا يعلم أنّ العطايا كلّها من إبنتِه الذكيّة السخيّة خديجة!!

بذلك فقد كنتِ الاستثناء في مهركِ وإلا فالحديثُ الشريف عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول: **(مَهَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله نِسَاءَه اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً ونَشّاً. والأُوقِيَّةُ أَرْبَعُونَ دِرْهَماً والنَّشُّ نِصْفُ الأُوقِيَّةِ وهُوَ عِشْرُونَ دِرْهَماً)**.(٢)

وعلى صفحةٍ أخرى من التاريخ **يا أيّتُها الأولى بامتياز**.. نقرأ أنّ أباكِ خويلد قال في ذلك المجلس مُعلِنًا رضاه بزواجكِ فقال: قد زوّجتُ خديجةَ بمُحمّدٍ على ذلك -أي المهر-. فَقَبَلَ النبيُّ صلى الله عليه وآله عَقْدَ النكاح. فَنَهَضَ عمُّه حمزة (رضوان الله عليه) وكان معه دراهم

(٢) الكافي: ج٥ ص٣٧٦

فَنَثَرَها على الحاضرين. وسمع الناسُ مناديًا ينادي من السّماء: «**إنّ الله تعالى قد زَوَّجَ بالطاهرِ الطاهرةَ وبالصادقِ الصادقة**». وأمَرَ اللهُ عزّ وجلّ جبرائيلَ أنْ يُرسلَ على الناسِ الطِّيب -العِطْر- بِرّهِم وفاجرِهم. إنّها فرحة السماء والكواكب والكائنات وخالِقِها العظيم بزواجِ أشرفِ مخلوقاتِه محمّد بن عبدالله منكِ.

وفي خطوةٍ أخرى منكِ يا حكيمةَ العرب ومليكةَ الحجاز قلتِ لعمّكِ ورقة بن نوفل: خُذ هذه الأموال إلى محمّد ﷺ وقُل له: هذه هديّة لكَ تَصَرَّفْ فيها كيف تشاء، وقُل له: إنّ مالي وعبيدي وجميعَ ما أمْلِك وما هو تحت يدي فقد وَهَبْتُه له ﷺ إجلالًا وإعظامًا.

وفي خطوةٍ رائعةٍ من عمّكِ ورقة قام بالإعلان عمّا طلبتِ منه بين زمزم والمقام إذ وَقَفَ ونادى بأعلى صوتِه: يا معاشرَ العرب إنّ خديجةَ تُشهِدُكم على أنّها قد وهبتْ نفسَها ومالَها وعَبيدَها وخَدَمَها وجَميعَ ما

ملكتْ يمينُها والصَّداقَ والهدايا لِمحمّدٍ ﷺ وجميعَ ما بَذَلَ لها مقبولٌ منه وهو هديّةٌ منها إليه إجلالًا له وإعظامًا ورغبةً فيه، فكونوا عليها من الشاهدين.

ثم خرج قاصدًا منزلَ أبي طالب عليه السلام وكنتِ قد بعثتِ جاريةً ومعها خُلعةٌ سَنِيّةٌ وقلتِ لها: أدخليها إلى محمد ﷺ فإذا دخل عليه عمّي ورقة بن نوفل يَخْلَعُها عليه لِيزدادَ عمّي فيه حُبًّا!!

يا أيّتُها الأولى بامتياز..

هذا أنتِ .. كَرَمٌ كلُّكِ وسخاء.. حكمةٌ كلُّكِ وذكاء.. تخطِّطين للأمور بعقليّتِكِ الفطينة وتُديرينها بحِنْكتكِ الدقيقة وتُمسكين زمامَها بمرتكزاتكِ المتينة.. يا لكِ مِن إمرأةٍ رياديّةٍ قياديّةٍ إداريّةٍ ناجحة...

هذا.. ومن عادةِ العرب أنّهم إذا أشرفوا على أمرٍ مُهِم أنْ يقدّموا رجالَهم يتفاخرون بفضائلِ عشائرِهم

ويخطبون في بيانِ خصالِهم ويتباهون بأنسابِهم وأحسابِهم ويؤكّدون على محاسنِهم ومزاياهم الخيّرة التي تعرّفهم على الطرف الآخر وترفع مِن شأنِهم لدى الملأ في المَحْضَر. وهذا ما حصل تمامًا في اجتماع خطبة الرسول ﷺ لكِ يا خديجة المُكرَّمة المُجلَّلة يا فخرَ العربِ والأمّة.. فالتاريخُ يذكر أنّ كبارَ عشيرتكِ وكبارَ عشيرة بني هاشم وَقَفوا يتفاخرون ولكنّ المفاجئة كانت عندما على خلاف العادة صبّوا تفاخرَهم على فضائل الرسول محمد ﷺ وذكروا صفاتِه الفريدة وخصالَه الحميدة التي أقرّها له المُؤالِفُ والمُخالِف.

فهذا أبوكِ خُوَيْلد بَدَلَ أنْ يُفاخرَ بعشيرتِه أخَذَ يفتخر بصهرِه الكريم زوجكِ النبيّ العظيم ﷺ فوقف مناديًا بأعلى صوتِه: يا معاشرَ العرب، والله ما أظلّتِ الخَضْراءُ ولا أقلّتِ الغَبْراء بأفضلَ مِن محمّد..

ولقد رضيتُه لابنتي بَعْلًا وكُفْوًا فكونوا على ذلك من الشاهدين.[1]

ثم جلس أبوكِ إلى جانب رسول الله ﷺ وأمسَكَ الناسُ عن الكلام. فتَوَجَّهَ أبوكِ الى أبي طالب قائلًا: يا أبا طالب ما الانتظار عمّا طلبتُم.. اقضوا الأمرَ فإنّ الحُكْمَ لكم وأنتُمُ الرؤساء والخطباء والبُلَغاء والفُصَحاء.. فليخطب خطيبُكم ويكون العقد لنا ولكم. فنهض أبو طالب عليه السلام وخطب خطبةً جميلة نقلها المؤرّخون في مصنّفاتهم.[2]

وفي رواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: **(لمّا أراد رسولُ الله ﷺ أنْ يتزوّجَ خديجةَ بنت خويلد، أقبل أبو طالب في أهلِ بيتِه ومعه نفرٌ من قريش، حتّى دَخَلَ على ورقة بن نوفل عمِّ خديجة، فابتدأ أبو طالب بالكلام فقال: الحمدُ لربِّ هذا البيت، الذي جَعَلَنا**

(١) بحار الأنوار: ج١٦ ص٦٩. ص٧٠. ص٧١
(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٣٩٧ حديث رقم ٤٣٩٨

مِن زَرْع إبراهيم وذرّيةِ إسماعيل، وأنْزَلَنا حَرَمًا آمِنًا، وجَعَلَنا الحكّامَ على النّاس، وبارَكَ لنا في بلدِنا الذي نَحْن فيه. ثمّ إنّ ابنَ أخي هذا ـ يعني رسول الله ﷺ ممّن لا يُوزَن بِرَجُلٍ من قريش إلّا رَجَحَ به، ولا يُقاسُ به رَجُلٌ إلّا عَظُمَ عنه، ولا عُدِلَ له فِي الخَلْق، وإنْ كان مُقِلًّا في المال فإنّ المالَ رِفْدٌ جارٍ، وظِلٌّ زائِل، وله في خديجة رغبةٌ ولها فيه رغبة، وقد جِئْناك لِنخطبَها إليك بِرضاها وأمْرِها، والمهرُ عليَّ في مالي الذي سألتُمُوه عاجِلُه وآجِلُه، وله ـ وربِّ هذا البيت ـ حظٌّ عظيم، ودِينٌ شائِع، ورأيٌ كامل.

ثمّ سَكَتَ أبو طالب، وتَكَلَّم عمُّها وتَلَجْلَجَ، وقَصَرَ عن جوابِ أبي طالب، وأدْرَكَه القَطْعُ والبَهْرُ، وكان رَجُلًا مِن القسّيسين، فقالت خديجةُ مبتدئةً: يا عمّاه، إنّكَ وإنْ كنتَ أوْلى بنفسي منّي في الشهود، فلستَ أوْلى بي مِن نفسي، قد زوّجتُكَ يا محمّدَ نفسي، والمهرُ عليَّ في مالي، فَأْمُرْ عمَّكَ فَلْيَنْحَرْ ناقةً فَلْيولِم بها،

وادْخُلْ على أهلِك. قال أبو طالب: إشْهَدوا عليها بِقبولِها مُحمّدًا وضِمانِها المَهْر في مالِها. فقال بعضُ قريش: يا عجباه! المهرُ على النساء للرجال؟ فَغَضِبَ أبو طالب غَضَبًا شديدًا، وقام على قدمَيْه، وكان ممّن يَهابُه الرّجال ويُكْرِهُ غَضَبَه، فقال: إذا كانوا مثل ابن أخي هذا، طُلِبَتْ الرّجالُ بأغلىٰ الأثمان وأعظم المهر، وإذا كانوا أمثالُكم لم يُزوَّجوا إلّا بالمهرِ الغالي. ونَحَرَ أبو طالب ناقةً، ودخل رسول الله ﷺ بأهلِه).[1]

هكذا يا خديجة تمّ زواجُكِ المبارك مع نبيّ الأمّة ﷺ وكان عمرُه الشريف ﷺ واحدًا وعشرين سنة. وقيل: خمسًا وعشرين سنة[2].. وعمركِ يا سيّدتي لم يتجاوز حسب أصحّ الروايات الثامنة والعشرين وقيل

(١) الكافي: ج ٥ ص٣٧٤
(٢) إعلام الورى: ص١٣٩ الفصل الأول.

الخامسة والعشرين وقيل الثامنة عشر.[1]. ثم عِشْتِ معه ﷺ أربعًا وعشرين سنة وشهرًا واحدًا.[2]

مولاتي خديجة.. أنا لستُ متردّدًا في القول بأنكِ لم تتزوّجي من قبل رسول الله ﷺ فأقوى دليلي هو رفضكِ لكلّ الذين تقدّموا اليكِ للزواج وكان فيهم من زعماء العرب.. وليس السبب إلا لأنكَ قد بُشِّرتِ مِن الله بزواجكِ مِن خاتم الأنبياء والرُّسل ﷺ بالإلهام الغيبي أو الإلقاءِ القلبي أو ما أشبه.. فكنتِ تنتظرينه وتنتظرين أنْ تتهيّأ المقدّماتُ على نحوٍ طبيعيٍّ ضِمْن حساباتٍ بشريّة. وهذا ما كان منكِ بالتحديد وبتوفيقٍ مدروسٍ مِن الله تعالى.

وهذا الرأي أيّده كبارُ العلماء والمؤرّخين كما نقل ذلك ابن شهر آشوب: « وروى أحمد البلاذري ، وأبو

(١) دلائل النبوة، البيهقي: ج ٢، ص ٧١. البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٢، ص ٢٩٤. أنساب الأشراف، البلاذري: ج ١، ص ٩٨
(٢) انظر بحار الأنوار: ج٢٢ ص٢٠٠

القاسم الكوفي في كتابيهما، والمرتضى في الشافي، وأبو جعفر ـ أي الشيخ الطوسيّ ـ في التلخيص: «أنّ النبيَّ ﷺ تَزَوَّجَ بها وكانت عَذْراء. وإنه لم يَبْقَ مِن أشراف قريش ومِن ساداتِهم وذوي الجِدَةِ مِنْهم إلاّ وخَطَبَ السيّدة خديجة ورَامَ تَزويجَها فامْتَنعتْ على جميعِهم مِن ذلك».(٣)

وقد تناول هذا البحث المحقِّقُ العلّامة السيّد جعفر مرتضى العاملي في كتابه «الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ» وأثبت ما ذهبنا اليه بالأدلةِ الدامغة.

ومِن أدلّتِي أيضًا ما أكّدتْه نساءُ قريش الحَمْقاوات اللّاتي اعترضن عليكِ يا سيّدتي على قبولكِ الزواجَ من رسول الله ﷺ فَغَضِبْن عليكِ وهَجَرْنكِ وقُلْنَ لكِ بصراحةِ الكلمة: قد خَطَبَكِ أشرافُ قريش

(٣) مناقب آل أبي طالب. ج١ ص١٣٨

واُمراؤهم فما تزوّجتِ أحدًا منهم وتزوّجتِ محمّدًا يَتيمَ أبي طالب فقيرًا لا مال له؟!

وهذا الكلامُ منهنّ يدلّ بوضوح تامّ أنكِ لم يسبق لكِ الزواجُ مِن أحد وأنّ الذين أشاعوا عنكِ بأنكِ مسبوقةُ الزواج مرّتيْن إنّما قالوا حقدًا وأشاعوا حسدًا.. ولا أدري كيف قد تَعامَلَ اللهُ معهم في البرزخ على نَشْرِهِم الكِذبَ على زوجةِ نبيّ الأمّة وعزيزتِه الغالية...

يا أيّتُها الأولى بامتياز..

سيّدتي.. إسمحي لي هنا بتعليقٍ أوجِّهُه الى قرّاء هذه السطور: لعلّ هناك مَن يستغرب أو يستنكر لو أنّ امرأةً صالحةً بادرتْ بطلبِ الزواج مِن شخصٍ ذي مواصفاتٍ عالية تراه مناسبًا للشراكة الزوجيّة.

والبعضُ يتساءل هل تنسجم هذه المبادرة مع الآداب الاسلاميّة؟!

يرى البعضُ أنّها مبادرةٌ خارجةٌ عن نطاق الآداب!!

ولكن لخديجة بنت خويلد رأيٌ آخر!! وهو إذا كان الشخصُ مثلُ محمّدِ بن عبدالله ﷺ فإنّ تفويتَ الفرصة على النفس هو الغباء الذي لا ينسجم مع العقلِ والدّينِ والآداب. أليس القرآنُ الكريم استحسن مثلَ هذه المبادرة حينما حكى قصةَ ابنةِ النبيّ شعيب وقولَها لأبيها وهي تَلمحُ للزواج مِن النبيّ موسى: ﴿**قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ**﴾.(١)

وفي مصداقٍ أكثر صراحة نرى القرآن العظيم قد حكى قصة المرأة المؤمنة التي وهبتْ نفسَها لنبيِّ الله محمّد بن عبدالله قائلًا: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ**

(١) سورة القصص/ ٢٦

أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾.(١)

أيّتها الأولى بامتياز ..

يا خديجة الوجيهة..لقد كنتِ واعيةً في شخصيّتكِ النزيهة.. وقائدةً في ارادتِكِ النبيهة.. وشامخةً في بناء مستقبلكِ الرغيد. وبعد زواجكِ كم قد أخلصتِ لزوجكِ في الاهتمام الحانِي به وحُسْن التبَّعُل بكلّ المعايير الانسانيّة والمفاهيم الاسلاميّة، فكنتِ له الزوجةَ الصالحة بكلّ معنى الكلمة وأكثر.. ولا أشكُّ يا سيّدتي أنّكِ كنتِ الزوجة الوحيدة التي تزوّجها رسولُ الله ﷺ لتأسيس أسرته الكريمة ولتكونَ

(١) سورة الأحزاب/ ٥٠

منكِ ذرّيتُه الشريفة، بينما زوجاته الأخريات تزوّجهن لدوافع سياسيّة أو إنسانيّة أو لتفتيت جبهة العدوّ أو لاعتباراتٍ إجتماعيّة.. وما أراده زوجكِ ﷺ وخطّط له معكِ هو ما تحقّق بالفعل.. فأنتِ النبيلةُ الموهوبة يا مثالَ الوفاء ويا جَدّةَ النّجَباء لقد كنتِ ربّةَ أسْرتِه بكلّ جدارة وجَدّةَ ذُريّتِه بكلّ اعتزاز.

كنتِ تحملين اليه ﷺ الطعامَ والشّرابَ إلى غار حراء الذي كان يتعبّد اللهَ فيه ويناجيه عزّ وجل في خلواتِه الممتدّة أيامًا.. وهذا جزءٌ مِن اهتماماتكِ الأخرى برسول الله ﷺ المُفْعَمة بحُبِّكِ وطيبكِ وتواضعكِ وعطفكِ وحنانكِ وطاعتكِ الخالصة له.. اهتماماتٌ جسّدتْ حُسْنَ تبعُّلكِ بأعلى مستوياتِه الرياديّة التي امتزجتْ مع صبركِ الطويل والرضا لله وحالةِ التسليم التي تمسّكتِ بها الى ساعةِ الرحيل مِن هذه الدنيا الدنيّة.. حقًّا إنّها بطولة الاستقامة بأعلى درجات اليقين والقناعة وأغلى وسامِ العاقبة الحُسْنىٰ...

ومع ذلك وعلى الرغم مِن كلّ الحقائق الواضحة فقد لاحقتْكِ الجاهليةُ الحاقدةُ بِكِذْبتَيْن مفضوحتَيْن:

١ - بأنكِ تزوّجتِ محمدًا ﷺ عن كِبَرٍ في عمركِ يصل حدّ ٤٠ سنة.. وقالوا ٤٦ بهتانًا وإثمًا.

٢ - أنكِ كنتِ مسبوقةَ الزواجِ من قبلِه بِرَجُلَيْن!!

ليس هذا -في عقيدتي- سوى الانتقام منكِ على مواقفكِ النبيلة وتاريخكِ المُشرِق وتضحياتكِ الفريدة من نوعها وعظمتكِ الايمانيّة وطهارتكِ الأخلاقيّة وشموخ النباهةِ فيكِ وما تجلّيتِ به في شخصيّتكِ المتميّزة التي أعمتْ عيونَ الحاسدين وأخرستْ ألْسِنةَ الحاقدين.

لقد كنتِ صادقةً في أقوالكِ مع الرسول ﷺ ومع الناس صدقًا قد تجسّد في أفعالكِ معه ومعهم تجسيدًا بدرجةِ العصمة الصغرى...

كنتِ يا قرينة رسول الله محمد بن عبدالله قد وهبتِ نفسَك الأغلى من أموالكِ لزوجكِ العظيم ثم رافَقْتِيه في جميع مراحل الأذى الذي ألقى عليه مُشرِكو قريش..

كنتِ تُؤازِريه وتُناصِريه وتُدافِعين عنه -روحي فداه- بإخلاصٍ لا مثيل له..

في طول المسيرة العسيرة لم يسمع منكِ زوجُكِ ما يكرهه من تكذيبٍ له أو تشكيكٍ فيه أو مناقشةٍ أو تكبُّرٍ واستعلاء والْتِواء أو عدمِ طاعةٍ أو محاولةِ فرضِ رأيٍ عليه أو ثرثرةٍ أو مشاجرة.. ولا أيّ شيءٍ من التصرّفات المذمومة ولو القليلة جدًّا.. بل كنتِ له زوجةً أليفةً مطيعةً لطيفةً سَهْلةً هيِّنةً ليِّنة.. وكنتِ لمّا يرجع ﷺ الى البيت تُخفِّفين عنه أعباءَ مهامِّه الثقيلة وتُهوِّنين عليه ألمَ المُؤْذِين له.. فكان ابنُ عبدالله -روحي فداه- يسكن إليكِ ويستعيد بكِ قوّتَه ونشاطَه وهو يُبادلُكِ الحُبَّ والاحترامَ والعطفَ والاهتمام...

كنتِ لـه سَكَـنًا في المشـاعر الزوجيّـة وهـو يُـوادُّكِ ويراحمُـكِ فيهـا.. وكنـتِ لـه عَوْنًـا في جهـاد الكلمـة وصمـود المواقـف المتعـدّدة وهو يشـاوركِ فيهـا.. وكنتِ لـه روحًـا في شـئون البيـت وهـو يسـاعدكِ فيها ولاسـيّما عنـد تألُّـكِ من وفـاةِ إبنيكِ قاسـم وعبـدالله الّذَيْـنِ تُوُفِّيا في صغرهمـا لِحِكَـمٍ ومنهـا أن تنحـصر ذريتـه الطاهـرة في ابنتِـه فاطمـة...

فيا أيّتها الأولى بامتياز

أطلـبُ منـكِ الرخصة هنا لأكشـفَ عـن سرّ تعلُّقكِ بمحمّـد بـن عبـدالله ﷺ.. هـذا التعلُّـق الفريـد مـن نوعِـه بـين الأزواج والزوجـات.. ذلـك هو مـا صرّحتِ بـه لزوجكِ رسـول الله بعد الـزواج قائلةً: **(يا بـنَ عَمّ إنّي رَغِبْـتُ فيـكَ لِقَرابَتِكَ منّـي وشَرَفَكَ مِن قَوْمِـكَ وأمَانَتِكَ عِندهُم وصِـدْقِ حَدِيثِـكَ وحُسْـنِ خُلُقِك)**.[1]

(١) دلائل الإمامة، الطبري: ص ٧٧

بهذه الخصال يا سيّدتي.. يا حكيمة قريش.. قد رسمتِ للناس في كلّ الأجيال الطريقُ إلى الحياة الزوجيّة السعيدة بتمام معنى السعادة.. وستبقين عنوانَ الاحتذاء في اختيار الزوج المناسب وأنتِ الخالدة في مثالِ العفاف والحجاب والتفاهم والانسجام..

هنيئًا لكِ بهذا الزوجِ العظيم ومباركٌ لكِ هذا الزواجُ السعيد...

حقًّا أقول وهذه عقيدة: لم تكن امرأةٌ تليقُ بمقام سيّد النبيّين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنتِ يا خديجة.. كما لم تكن امرأةٌ تليقُ بمقام سيّد الوصيّين عليّ عليه السلام إلا ابنتكِ فاطمة.. تناسقٌ وتنسيق رتّبكُم الله فيهما لترتيب مستقبل الأوصياء الإثني عشر (صلوات الله عليكم أجمعين).

وصَدَقَ اللهُ قولَه: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾.(١)

يا أيّتها الأولى بامتياز..

ثبت من خلال سطوري السابقة عن شخصيّتكِ العظيمة أنكِ كنتِ امرأةً فهيمةً لبيبةً ذات قوّةٍ في العقل والفهم وذات روحيّةٍ رفيعةٍ في الهدفيّة والهِمَم.. وثبت أنكِ المُدّخَرة لخاتمِ الأنبياء وسيّد المرسلين.. وإنّما كانت قصةُ زواجكِ المبارك به ﷺ هي البداية لأهمّ المنعطفاتِ الأساسيّة في حياتكِ.. وكان فيها ظهورُكِ المسدَّد لتأسيس مرحلةٍ جديدة تَلَتْها مراحلُ هامّةٍ في ظهورِ الاسلام وعزّةِ المسلمين وبقائِها الى يوم الدّين.. لذا قال النبيُّ ﷺ وهو الصادق الأمين حينما يقول:

(١) سورة الأعراف/ ١٦٠

(مَا قَامَ ولا اسْتَقَامَ دِينِي إلّا بِشَيْئَيْن: مَالُ خَدِيجَة وسَيْفُ عليٍّ بنِ أبي طالِب).[٢]

وهل تَكَوَّنَ لكِ هذا المقامُ الرفيع إلا بعد أنْ بَلَغَ صبرُكِ إلى أعلى درجاتِه حتى أصبحتِ مصداقًا حقيقيًّا لقول الله عزّ وجل: **﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾**.[٣]

فواهًا لصبركِ العجيب على معاناتكِ مِن حَمْقاواتِ النِّسْوةِ القرشيّات اللّاتي قاطَعْنكِ عقابًا لزواجكِ من نبيّنا الأكرم محمّد ﷺ، بل وقاطَعْنَ كلّ امرأةٍ تَزورُكِ حتى صِرْتِ وحيدةً في بيتكِ إلا مِن قلّةِ الطيّبات أمثال فاطمة بنت أسد وصفيّة بنت عبدالمطلب.. وهذه مُؤلِمةٌ جدًّا لكلّ امرأة من الأشراف مثلكِ والتي لم يكن

(٢) شجرة طوبى: ج٢ ص٢٣٣ أتنقيح المقال: ج٣ ص٧٧
(٣) سورة آل عمران/ ١٨٦

مجلسُكِ يخلو من النساء.. **ولكنّكِ يا أيّتها الأولى بامتياز** قد اجتزتِ هذا الامتحانَ العسير بجدارةٍ فائقة. فكنتِ بإيمانكِ الصادق وعلمكِ النافع وعملكِ الصالح وصبركِ على العهد الغالب وبوفائكِ لزوجكِ الوفيّ.. وبكلّ ذلك قد أكرمكِ اللهُ بخصائصَ لم يُكْرِم بها غيرَكِ مِن زوجاتِ النبيّ الأكرم ﷺ على الإطلاق.

هنا أستأذِنُكِ يا مولاتي خديجة لِأنتقلَ إلى قَبَسٍ من تلك الخصائص السماويّة.. وهي من خفايا شخصيّتكِ النوعيّة النادرة التي لا يعرفها كثيرون وفيها مِن الدروس التي لا يستغني عنها كلُّ إنسانٍ راغبٍ في التأسّي بكِ:

الخصّيصة الأولى..

بعد ما اختارك اللهُ زوجةً أولى لأشرفِ خَلْقِه محمّد ﷺ وبرزتِ بذلك أميرةً في المرتبةِ الأولى وبامتياز قد واكبتِ زوجَكِ العظيم في مسئوليّاتِه العظيمة قبل نزول الوحي عليه وبعده.. فكُنتِ الشاهدةُ الوحيدة على تطوّر العلاقة التلاحميّة بين مقام النبوّة وبين مقامِ الإمامة.. حيث رأيتِ شدّةَ التزام النَبيّ الأكرم بابنِ عمّه عليّ بن أبي طالب.. التزامًا لم يتقدّم عليه أيُّ التزامٍ آخر لأنّهما نَفْسٌ واحدة في جسميْن بدليل ما ورد في تفسير آية المباهلة ﴿**وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُم**﴾.[1] فما كان ﷺ يفتقد عليًّا عليه السلام دقائق وهو صبيٌّ آنذاك إلا ويتفقّده بلهفةٍ شديدة.. ومنها غدا عليٌّ أوّلَ النّاسِ

(١) سورة آل عمران/ ٦١

اسلامًا من الذّكور إذ كنتِ أنتِ الأولى من الإناث في ظاهر المعادلة وإلا فأنتما كنتما مسلميْن في عالَمِ الأرواح الطيّبة المُعلَّقة بعرش الله الكبير المتعال قبل نزولِكما الى عالَمِ الدنيا.

فلقد رُوِيَ أنَّه ﷺ افتقده ذات مرّة فاغْتَمّ لذلك غمًّا شديدًا، فلمّا رأيتِ ذلك يا خديجة قلتِ له: يا رسولَ الله، أنا أعلم لكَ عِلْمَه، فشَدَدْتِ على بَعيرِكِ.. ولقيتِ عليَّ بن أبي طالب، فقلتِ له: ائتِ رسولَ الله ﷺ، فإنّه مُغتَمٌّ بك.. فمضيتِ فأخبرتِ رسولَ الله ﷺ، فإذا هو قائِمٌ يدعو الله ويقول: (**اللهمّ فَرِّجْ غمّي بأخي عليّ**).. فإذا بعليٍّ قد جاء، فتَعانَقَا. وأنتِ واقفة تنظرين الى هذا العناق الذي تنظر إليه الملائكة ويفرحُ به جبرائيل ويباركُ له الله الجليل.. كنتِ واقفةً سيّدتي لأنكِ لم تكوني تجلسين إذا كان رسول الله ﷺ واقفًا. هكذا أنتِ في أدبكِ الرفيع مع رسول ربّ

العالمين. وتقول الرواية عنكِ: (**فما أنِ افترَقا متعانقَيْن حتى ضربتْ عليكِ قَدَماكِ**).[1]

هذه ليست مجرّد صورةٍ مِن احترامكِ لزوجكِ وتأدُّبكِ بين يديْه وخدمتِكِ له وأنتِ تلك المرأة المعزَّزة في أهلكِ والمكرَّمة في قومكِ والمخدومة في بيتكِ.. بل هذه صورة مِن اختيار الله لكِ لتكوني أنتِ السابقةُ الوحيدةُ الى قلبِ نبيّ الأمّة فَتَجْرِين في نبضاتِه مع الإمام عليّ بن أبي طالب جَرْيَ الحياة الطيّبة جملةً وتفصيلا...

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. محمد بن سليمان الكوفي: ج١، ص٣٠٤

الخصّيصة الثانية..

حينما كنتِ تقولين لزوجكِ ﷺ وبكل صدقٍ وإخلاص: **(البيتُ بيتُكَ وجميعُ ما أمْلِكُ تحت يَدكَ وأنا جَارِيتُك)**.[1] لم يكن قولُكِ هذا مجرّد ألفاظٍ للمجاملة.. بل قد أنفقتِ أموالَكِ للمسلمين في مكّة أيّام تَعَرُّضِهم للاضطهاد والحصار الاقتصادي الذي فَرَضَه عليهم مُشرِكو مكّة لمّا ضايقوهم فأخرجوهم منها إلى شِعْبِ أبي طالب ليذوقوا آلامَ القطيعة الاجتماعيّة والمقاطعة التجاريّة كي يتركوا الاسلامَ ويبتعدوا عن رسولِه. ولكن هيهات أن تتخلّى خديجة عن زوجِها الذي أعلنها للمسلمين وللتاريخ: **(مَا نَفَعَني مَالٌ قَطّ مِثْلَما نَفَعَني مَالُ خَديجَة)**.[2]

(١) أمّ المؤمنين خديجة الطاهرة، الحاج حسين الشاكري: ص ٤٠
(٢) الأمالي، الطوسي: ص٤٦٨

ثلاثُ سنواتٍ متتالية منعتْ قريشٌ عن المسلمين الأوائل الطعامَ والشرابَ والبيعَ والشّراء، فأوْشَكوا على الهلاك لولا أنّكِ كنتِ تشترين الطعامَ بأضعاف قيمتِه في السوق وترسلينه إليهم بيد ابن أخيكِ حكيم بن حزام ليسدّوا رَمَقَهُم به.

وذكر المؤرّخون أنّ زوجكِ النبيّ الكريم ﷺ كان بأموالكِ يَفُكّ الغارمَ والأسِير، ويُعْطِي الضّعِيفَ، ومَن لا والدَ له ولا وَلَد، وصاحِبَ العِيال والثّقْل. وقد ورد عن المؤرّخ الزُهْري قولُه: «بَلَغَنا أنّ خديجةَ أنفقتْ على رسولِ الله ﷺ أربعينَ ألفًا وأربعين ألفًا».(٣)

نعم يا خديجة يا صاحبةَ أعظم ثروةٍ في مكّة.. لقد كنتِ تملكين عشراتِ العبيد والإماء، وآلافَ الإبل، ومئاتِ الأواني من الذّهب والفضّة وغير ذلك، فبذلتِ كلّها في سبيل دعوة رسول الله ﷺ حتى صرتِ تنامين معه تحت كساءٍ واحد إذ لم يكن لديكِ

(٣) تذكرة خواص الأمّة، سبط ابن الجوزي: ص٢٧٣

غيره إلا أنّ إيمانَكِ بالإسلام وحبَّكِ لنبيِّه خيرِ الأنام جَعَلَكِ مصدرَ التضحية بالمال الزائل في الدنيا حيث كانت عينُكِ على شراء الجنّة الباقية في الآخرة.. ومنكِ تعلّم أهل الخير من المسلمين الى يومنا كيف ينفقون أموالَهم في سبيل الله الذي رَزَقَها إيّاهم.

ذلك لأنكِ يا سيّدتي كنتِ واعيةً لهذه الآية قبل نزولها: ﴿**لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾.[1] فما أعظمكِ من مؤمنةٍ صدقتْ في إيمانها وبدرجة الامتياز.

(١) سورة آل عمران/ ٩٢

الخصّيصة الثالثة..

قد أكرمكِ الله تعالى أيضًا باختياره لكِ أنْ تكوني أمًّا طاهرةً للحوراء الإنسيّة مولاتِنا فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين (عليكِ وعليها السلام) حيث قال زوجكِ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: **(لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ أَخَذَ بِيَدِي جَبْرَئِيلُ فَأَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ فَنَاوَلَنِي مِنْ رُطَبِهَا فَأَكَلْتُهُ فَتَحَوَّلَ ذَلِكَ نُطْفَةً فِي صُلْبِي فَلَمَّا هَبَطْتُ إِلَى الْأَرْضِ وَاقَعْتُ خَدِيجَةَ فَحَمَلَتْ بِفَاطِمَةَ ، فَفَاطِمَةُ حَوْرَاءُ إِنْسِيَّةٌ فَكُلَّمَا اشْتَقْتُ إِلَى رَائِحَةِ الْجَنَّةِ شَمِمْتُ رَائِحَةَ ابْنَتِي فَاطِمَةَ).**[٢]

(٢) بحار الأنوار: ج٤ ص٤

إنّها رعايةٌ خاصةٌ من الله عزّ وجل لتكوني وذرّيتِكِ تحت عين الله وليصنعَكم عبادًا مُخلَصين تهدون الناسَ اليه.

الخصّيصة الرابعة..

يا أميرةَ العربِ والعجم.. قيل أنّكِ استوحشتِ قليلًا بمقاطعة نساء قريش لكِ على زواجكِ بالنبيّ الأعظم، ولكنّ الجاهلات قد جَهَلْنَ ما عندكِ من مقامٍ عند الله الذي أكرمكِ بحَمْلِ ابنتكِ (فاطمة) حيثُ كانت تُحدِّثُك من بطنكِ وتُصبِّرك وتُؤنِسُكِ ويا خيرَ مُؤْنَسة مِن خيرِ مُؤْنِسة.. وما ذلك على الله بعسير والقرآنُ يُوثِّق هذا المبدأ الإعجازيّ قائلًا: ﴿**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا**

أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.[1]

وعلى هذا فقد رُوِيَ أنّ زوجكِ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دخل عليكِ يومًا فسَمَعَكِ تُحدِّثينَ جنينَكِ فاطمة، فقال لكِ: (**يا خَديجَة، مَن تُحدِّثين؟**) **قلتِ: الجنين الذي في بطني يُحدِّثني ويُؤنِسُني. فقال لكِ صلى الله عليه وآله وسلم: (يا خَديجَة، هذا جبرئيل يُخبِرُني أنّها أنثى، وأنَّها النّسْلةُ الطاهرةُ الميمونة، وأنَّ اللهَ تبارك وتعالى سيجعل نَسْلي منها، وسيجعل مِن نَسْلِها أئمّةً، ويجعلهم خُلفاءَه في أرضِه بعد انقضاءِ وَحْيِه).**[2]

(فاطمة) أجمل اسمٍ كان لديكِ.. وهو اسمُ أمَّكِ أيضًا (فاطمة) بنت زائدة بن أصمّ بن رواحة... سيّدةٌ جليلةٌ مشهودٌ لها بالفضل والبِرّ.

---

(١) سورة مريم/ ٢٩ – ٣١

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص٦٩١

شعورٌ جميلٌ أن تكوني يا خديجة بين فاطمة الأمّ وفاطمة البنت. الاسم الذي أحبّه زوجكِ واختاره لابنته سيدة نساء العالمين كلّ النساء وكلّ العالمين بلا استثناء. حتى قال فيها: (**إنّما فاطِمةُ بَضْعَةٌ منّي، يُؤذِيني مَا آذاهَا، ويُغْضِبُني مَا يُغْضِبُها**).[٣] وقال: (**فاطِمَة بَضْعَةٌ مِنّي وَهِيَ قَلْبِيْ وَهِيَ روُحِي الّتي بَيْنَ جَنْبِيّ**).[٤]

(٣) اتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل، المناوي: ج ١ ص ٥٩ وقال رواه أحمد والترمذي والحاكم والطبراني بأسانيد صحيحة
(٤) بحار الأنوار: ج٤٣ ص٥٤

الخصّيصة الخامسة..

ما أشوقكِ كنتِ إلى ساعةِ ولادتكِ كي تُشاهِدي مولودتَكِ الربّانية (فاطمة) التي كانت تُحدِّثكِ بقدرة الله وتُؤنِسكِ بالعِوَض الأفضل عمّا حَرَمتْكِ تلك النساء اللاتي أتممتِ عليهنّ الحجّةَ بدعوتكِ لهنّ أنْ يأتينكِ حين الولادة لِتَلِينَ منكِ ما تلي النساءُ مِن النساء حين وَضْعِ الحمل. فأرسلْنَ إليكِ كلماتِهنّ الجارحات: بأنكِ عَصَيْتينا ولم تقبلي قولَنا.. فلسنا نجيء ولا نلي مِن أمرِك شيئاً!!

فبينما كنتِ مغمومةً في الحزن دخلتْ عليكِ أربعُ نِسْوةٍ سُمْرٍ طوال، ففزعتِ منهنّ لمّا رأيتيهنّ لأوّل مرّة، ولكنّكِ سَرُرتِ بهنّ أعظم سرور حينما قالتْ لكِ

إحداهـن: (**لا تَحـزَني يـا خَديجَـة، فإنّا رُسُـلُ ربّـكِ إليكِ، ونَحْـن أخَواتُـكِ، أنـا سـارة، وهـذه آسِـية بنـت مُزاحِم، وهـي رفيقتُـكِ في الجنّـة، وهـذه مريم بنت عمـران، وهذه كلثـوم أختُ موسـى بنت عمران عليـه السـلام، بَعَثَنا اللهُ إليـكِ لِنَـلِيَ مِنـكِ ما تَـلِيَ النّسـاءُ مِن النّسـاء**)[1]

وهذه الكرامةُ التي خصّكِ اللهُ بها أتـتْـكِ:

* مِـن بعـد زواجـكِ الميمـون مـع رسـولِه سـيّدِ المرسـلين محمّـد بـن عبـدالله (صلـوات الله عليـه وآلـه أجمعـين)..
* ومِـن بعـد انعقـاد نطفـة الزهـراء (فاطمـة) مـن تفّاحـةِ الجنّـة أو رُطَبِهـا في رحلـةِ الإسراء والمعـراج...
* ومِـن بعـد مُعجـزة حديثِهـا معـكِ وهـي في بطنِـكِ...

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص٦٩١

* وكذلك مِن بعد كراماتٍ سابقة لكِ من الله مُذ وُلِدْتِ وأنتِ على دين جدّكِ ابراهيم.. فكان توحيدُكِ لله تعالى هو الأرضيّة الطاهرة التي سهّلتْ لكِ دخولَكِ السريع في الاسلام المحمّدي الجديد...

ثمّ توالتْ عليكِ بقيّةُ الكرامات يا سيّدتي ومولاتي.. عندما كنتِ أولى المُصلِّياتِ في الإسلام.. وأولى المُخلِصاتِ لله الحميدِ العلّام.. وأولى ناصرةٍ للنّور في عصرِ الظّلاَم.. وكنتِ الأولى ثم الأولى في جميع الفضائل التي حثّ عليها دينُ محمّدٍ خيرِ الأنام...

الخصّيصة السادسة..

وكيف لا يوفّقكِ اللهُ الى كلّ ذلك يا أيّتها الأولى بامتياز.. وأنتِ لم تُقصِّري مع رسولِه الصادقِ الأمين في أصعب ظروفِ دعوتِه الاسلاميّة وضَعْفِه البشريّ المُوحِش أمام وحوش الجاهلية...

كيف لا تكوني كذلك في هندسةِ المساندة وأنتِ حينما رجع زوجُكِ محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم مِن غار حراء مبعوثًا بالرسالة قد استقبلْتِيه بقولكِ له: أيّ نورٍ أرى في جبينِك؟ فأجابكِ: (**إنّه نُورُ النبوّة**)، ثمّ شَرَحَ لكِ أركانَ الإسلام، فقلتِ له فورًا: (**آمَنتُ، وصَدّقتُ، ورَضيتُ، وسَلّمتُ**).[1]

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٣٢

كيف لا وأنتِ يا خديجة كنتِ مِن أصلابٍ طيّبة وأرحامٍ زكيّة لم تشركي بالله طرفةَ عَيْنٍ ولم تعبدي الأصنام طرفةَ عَيْنٍ ولم تَصْطَفّي مع الجاهليّة طرفةَ عَيْنٍ كي تُنَجِّسَكِ بِأَنْجَاسِهَا أو تُلْبِسَكِ مِنْ مُدْلَهِمَّاتِ ثِيَابِهَا...

لم ولن يحدث ذلك لأنكِ كنتِ حنيفيّةً على دين جدِّك النبيّ إبراهيم عليه السلام قبل أن يُبعَثَ زوجُكِ النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوّة والرسالة، لذا آمنتِ به في اليوم الأوّل مِن بِعْثتِه صلى الله عليه وآله وسلم بل وآمنتِ بوصيّه الإمام عليّ عليه السلام فورًا بلا نقاش.. وكأنّكِ كنتِ على موعدٍ مع هذا الدّينِ الموعود وقرآنِه العظيم الذي ﴿**يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا* وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾.[1] القرآنِ الذي ما كان ولن يكونَ بِمَعْزِلٍ عن الأوصياء مِن أهلِ بيتِ الرسول محمّد.. إذ

(١) سورة الإسراء/ ٩ - ١٠

لا يُفهَم تفاصيلُه إلا بأحاديثِهم الصحيحة. وقديمًا قيل: أهلُ البيت أدرى بما في البيت!

يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني:

"وفي البيت معنى آخر لأنّ مَرجَع أهل بيت النبي صلى الله عليه -وآله- وسلم إليها لمّا ثَبَتَ في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾ [الأحزاب: ٣٣] قالت أمّ سلمة: لمّا نزلتْ دعا النبي صلى الله عليه -وآله- وسلم فاطمة وعليًّا والحسن والحسين فجلّلهُم بكساء فقال: (**اللّهمّ هؤلاء أهلُ بيتي**) الحديث أخرجه الترمذي وغيره. ومَرجَع أهلِ البيت هؤلاء إلى خديجة لأنّ الحسنَيْن من فاطمة وفاطمةُ بنتُها وعليٌّ نَشَأ في بيت خديجة وهو صغير ثمّ تَزَوَّج بنتَها بعدها فَظَهَرَ رجوعُ أهلِ البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها)".[٢]

(٢) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني: الحديث الخامس ، كتاب مناقب الانصار : ص ١٣٨

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لابنته فاطمة عليها السلام: **(إِنَّ عَلِيًّا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِاللهِ (عَزَّ وَ جَلَّ) وَ رَسُولِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، هُوَ وَ خَدِيجَةُ أُمُّك)**.(١)

سيّدتي هنيئًا لكِ بكمالِ دينكِ وتمامِ نعمةِ الله عليكِ ورضاه الاسلامَ لكِ دينًا بالولايةِ لعليّ بن أبي طالب قبل يوم الغدير في السنة العاشرة من الهجرة وقبل نزولِ هذه الآية فيه: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾**.(٢)

فآمنتِ بولاية أمير المؤمنين عليه السلام بلا تردُّدٍ ودون نقاش لأنها جزءٌ لن يتجزّأ عن الإيمان بنبوّةِ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ولأنكِ المطيعة لله ولرسوله.. وعلى نقيض الذين قال فيهم القرآنُ المجيد: **﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾**.(٣)

(١) أمالي الشيخ الطوسي (المتوفى ٤٦٠هـ): ص ٦٠٧
(٢) سورة المائدة/ ٣
(٣) سورة النساء/ ٦٥

إنّ هذا الموقفَ منكِ يا أيّتها الأولى بامتياز هو قمّةٌ في التسليم الذي يكون هو حصيلةُ سلامةِ الدّين.. وقمّةٌ في الوعي الذي يكون ناتجًا عن سلامةِ العقل.. وقمّةٌ في الصّدق الذي يولد عن سلامةِ القلب.. فأنتِ (سلام الله عليكِ) وعليٌّ (سلام الله عليه) في ظلّ رسول الله ﷺ كنتُما في طليعة المؤمنين الذين قال اللهُ عنهم: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾.(٤)

وهكذا يا خديجة لم تكوني بعيدةً عن الإمامة ايمانًا بها والتزامًا بإمامِها حتى كتب اللهُ لكِ أن تكوني عمّةَ إمامِ المتّقين ومولى الموحّدين ويعسوب الدّين.. عليٍّ أميرِ المؤمنين فتكونُ ابنتُكِ أمَّ أئمّة المسلمين (عليكم جميعًا صلواتُ ربِّ العالمين).

(٤) سورة الأحزاب/ ٣٥

الخصّيصة السابعة..

مَـن مِثلُـكِ يـا خديجـة.. وقـد اختـار اللهُ تعـالى بيتَكِ منطلقًـا لإسراءِ نبيّـه الرسـولِ الأعظم ﷺ حينما وَسَّـعَ مِـن مسـاحة المسـجد الحـرام لِيَضـمّ بيتَـكِ إليـه حيـث قـال عـزّ وجل: ﴿**سُـبْحَانَ الَّـذِي أَسْرَىٰ بِعَبْـدِهِ لَيْـلًا مِّـنَ الْمَسْـجِدِ الْحَـرَامِ إِلَى الْمَسْـجِدِ الْأَقْـصَى الَّـذِي بَارَكْنَـا حَوْلَهُ لِنُرِيَـهُ مِـنْ آيَاتِنَـا إِنَّـهُ هُوَ السَّـمِيعُ الْبَصِـيرُ**﴾.[1]

مَـن مِثلُـكِ يـا أمَّ فاطمـة.. وقـد بلـغ مقامُـكِ عنـد رسـول الله ﷺ حـدًّا يُجاهِـرُ باعتـزازِه بـكِ وهـو يتحـدّث عنـكِ قائـلًا: (**يـا مَعْـشَرَ النّـاس، ألا أدُلُّكم على خـيرِ النّـاس جَدّاً وجَـدّة**)؟ قالـوا: بلى يا رسـول الله. قال

(١) سورة الإسراء/ ١

ﷺ: (الحَسَنُ والحُسينُ عليهما السلام، فإنّ جدَّهما محمّد، وجدّتَهما خَديجةُ بِنتُ خُوَيْلد).[٢]

سيّدتي.. ولزوجكِ الكريم ﷺ أحاديثٌ كثيرة في مناقبكِ وفضائلكِ كقوله لكِ: (يا خَديجَة إنّ اللهَ عزّ وجلّ لَيُباهِي بكِ كِرامَ مَلائِكَتِه كلَّ يومٍ مِرارًا).[٣]

وكقوله: (والله ما أبْدَلَني اللهُ خَيرًا منها، قد آمَنتْ بِي إذ كَفَرَ بِي النّاس، وَصَدَّقتْني إذ كَذّبَني النّاس، وواسَتْني بمالِها إذ حَرَمَني النّاس، ورَزَقَني اللهُ أوْلادَها، وحَرَمَني أوْلادَ النّاس).[٤]

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: المجلس السابع والستون ص٣٩٢
(٣) كشف الغُمّة: ج٢، ص٧٢
(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج ٢، ص ٨٢. الإصابة- ابن حجر: ج ٤، ص ٢٧٥

الخصّيصة الثامنة..

نعم.. أيّتها الزوجةُ الوحيدةُ من بين زوجات النبيّ الكريم ﷺ التي أنْسَلَها اللهُ واستمرّ نَسلُها الطاهر الى يومِنا من خلال ابنتِها فاطمة بنت محمّد بن عبدالله فقط، لأنّ اللهَ تبارك وتعالى شاء أنْ تكوني الوعاءَ الطاهرَ الزكيّ لأنوار الأئمّة الطاهرين الأزكياء من وُلْدِ صهركِ عليٍّ وابنتكِ فاطمة.

وهذا ما قاله ﷺ لابنتِكما فاطمة الزهراء (عليكِ وعليها السلام): **(يا ابْنَتي، إنّ اللهَ تعالى جَعَلَ خَديجةَ وعاءً لِنورِ الإمامة)**.[1]

(١) إثبات الوصية، المسعودي: ص ١٤٤

مِن أجل هذه المكانة المقدّسة لكِ يا سيّدتي أصبح جميعُ أسباطكِ الأئمة من أهل بيت زوجكِ نبيِّ الاسلام (صلوات الله عليه وعليكِ وعليهم أجمعين) يعتزّون بانتسابِهم اليكِ..

فهذا سبطكِ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام يقول على ضوء الآية: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾: **(صَوَّرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي ظَهْرِ أَبِي طَالِبٍ عَلَى صُورَةِ مُحَمَّدٍ فَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَشْبَهَ النَّاسِ بِرَسُولِ اللهِ، وَ كَانَ الْحُسَينُ بْنُ عَلِي أَشْبَهَ النَّاسِ بِفَاطِمَةَ، وَ كُنْتُ أَنَا أَشْبَهَ النَّاسِ بِخَدِيجَةَ الْكُبْرَى).**[٢]

وأمّا سبطُكِ الإمامُ الحسين عليه السلام فلقد وقف أمامَ جيش العدوّ بكربلاء خطيبًا في يوم عاشوراء وقال: **(أَنْشدُكُمُ اللهَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَدِّي رَسُولُ اللهِ؟)**

قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٢

قَالَ: **(أَنْشدُكُمُ الله هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَبِي عَلِي بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟)**

قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قَالَ: **(أَنْشدُكُمُ اللهّ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أُمِّي فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ المُصْطَفَى؟)**

قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قَالَ: **(أَنْشدُكُمُ اللهَّ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَدَّتِي خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيلِدٍ أَوَّلُ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِسْلَامًا؟)**

قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَم.[1]

وعلى الرّغم مِن انتزاعِه الاعترافَ منهم بمكانتِه مِن جدِّه رسولِ الله ومنزلتِه منكِ يا سيّدتي فقد سفكوا دمَه الطاهر مظلومًا عطشانا.. لأنّ روحَ العداء هي ذاتُها التي واجهتْكِ وزوجَكِ في جاهليةِ الشرك والجريمة النّكْراء.. فكان ذكاءُ سبطكِ الحسين الشهيد -بأبي

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص٢٢٢

هـو وأمّـي- أنِ اسـتَدْرَجَهم لوثائـق التاريـخ.. وهـو في خطابـه يفتخر بـكِ جَدّةً سـاميةَ الطُّهْـرِ والعقيـدة وعاليةَ الأخـلاقِ والمكانة.. ثـم كَـرَّرَ لقاتليه حجّتَـه عليهم قائلًا فيما قـال: (**فَـإِنِّي ابْنُ بِنْـتِ نَبِيِّكُـمْ وَ جَـدَّتِي خَدِيجَـةُ زَوْجَةُ نَبِيِّكُم**).[٢]

وأمّـا وَلَـدُه الإمـامُ زين العابديـن عليه السلام فقـد أعْلَنَها صرخـةً في مجلـس الشّـام هَشَّـمَ بهـا الترسـانةَ الاعلاميّـة للعـدوّ حينـما قـال: (**يـا مَعْشَرَ النَّـاسِ فَمَـنْ عَرَفَنَـي فَقَدْ عَرَفَنِـي وَ مَـنْ لَمْ يعْرِفْنِـي فَأَنَـا أُعَرِّفُهُ نَفْـسِي أَنَا ابْـنُ مَكَّةَ وَ مِنًـى أَنَا ابْنُ مَـرْوَةَ وَ الصَّفَا أَنَـا ابْنُ مُحَمَّـدٍ الْمُصْطَفَى ... أَنَا ابْـنُ عَـلِي الْمُرْتَضَى أَنَـا ابْـنُ فَاطِمَـةَ الزَّهْرَاءِ أَنَا ابْـنُ خَدِيجَةَ الْكُـبْرَى أَنَا ابْـنُ الْمَقْتُولِ ظُلْـما...**).[٣]

هكـذا.. فليسـت مِـن مناسـبةٍ إلا وقـد أدرج أئمّتُنـا الأطهـار عليهم السلام اسـمَكِ في أقوالهـم ودعواتهـم فخـرًا

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٥ ص ٦
(٣) مناقب آل أبي طالب، ج ٤ ص ١٦٨

وانتماءً وشَرَفًا واعتزازًا.. فهذا مولانا الامام الحسن العسكري عليه السلام مثلًا يقول في دعائه لابنتكِ فاطمة (صلوات الله عليكِ وعليها): (**فَصَلِّ عَلَيْهَا وَ عَلَى أُمِّهَا خَدِيجَةَ الكُبْرَى صَلَاةً تُكْرِمُ بِهَا وَجْهَ أَبِيهَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهّ عَلَيهِ وَ آلِه**).[1]

فأنتِ يا أيّتها الأولى بامتياز جَدّةُ أئمّةِ الهُدىٰ أوصياءِ زوجكِ الرسولِ المصطفى.. الحسن، والحسين، وزين العابدين، والباقر، والصادق، والكاظم، والرضا، والجواد، والهادي، والعسكري، والمنتظر المهدي...

فالذين يعرفون مَن هم هؤلاء الرجال العظماء وما هو كان ولازال أثرُهم في هدايةِ البشريّة الى الاسلام والى قِيَم الفكر الانساني.. وأثرَهم في تأسيس كيان الأمّة وانتشار العلم ومفاهيم الخير ومبادئ العدل والشرف ومُثُل الأخلاق الإنسانيّة في العالَم.. فإنهم سيعرفون أيضًا كم أنتِ عظيمة يوم وَضَعتِ الأساسَ

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩١ - الصفحة ٧٤

الأوّل لولادة هؤلاء الأئمة الهداة المهديّين.. وكم أنتِ سهيمة في آثارِهم الممتدّة الى يوم الدّين...

فأنتِ يا خديجة لستِ غائبةً عن هذه الكرامة التي مَنَحَها اللهُ إيّاكِ حَصْرِيًّا دون غيركِ يا خَيرَ وعاءٍ لِخَيرِ ذرّيةٍ كاملةِ النّقاء والصَّفاء والبَهاء...

إنّ كلَّ هذا يا زوجةَ النبيّ الأعظم هو ما أسّس له زوجُكِ صلى الله عليه وآله وسلم وأنتِ معه يا خديجة (رضوان الله عليكِ).. وكان مِن خطابِ التأسيس قولُه للمسلمين يومًا وهو يعَرِّفُ سِبْطَيْه الحسنَ والحسين عليهما السلام: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا أُخْبِرُكُمُ اليَوْمَ بِخَيرِ النَّاسِ جَدّاً وَ جَدَّةً؟)** قَالُوا بَلَى يا رَسُولَ الله. قَالَ: **(عَلَيكُمْ بِالْحَسَنِ وَ الْحُسَينِ فَإِنَّ جَدَّهُمَا رَسُولُ اللهِ وَ جَدَّتَهُمَا خَدِيجَةُ الْكُبْرَى بِنْتُ خُوَيلِدٍ سَيدَةُ نِسَاءِ الْجَنَّةِ).**[٢]

(٢) بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله لشيعة المرتضى عليه السلام، للطبري ص ١١٥

الخصّيصة التاسعة..

أيّتها الأولى بامتياز.. لأنكِ «الطاهرة».. ولأنكِ «الصدّيقة».. ولأنكِ «المباركة».. ولأنكِ «الراضية».. ولأنكِ «المرضيّة».. فقد حَمَلَ إليكِ جَبرائيلُ عليه السلام سلامًا خاصًّا مِن الله جلّ جلالُه مصحوبًا بالبشارة لكِ!!

فقد أتى الى زوجكِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **(يَا محمّد، هذه خَديجَة قد أَتَتْكَ فاقْرَأها السّلامَ مِن ربِّها، وبَشِّرْها ببيتٍ فِي الجنّة مِن قَصَبٍ لا صَخَبٌ فيه ولا نَصَب)**.. ولمّا أخبركِ صلى الله عليه وآله وسلم بذلك قائلًا: **(يا خَديجَة،**

هَـذا جَبرائيـل يُقْرِئُـكِ مِن ربّكِ السّـلام).. قلـتِ له: **(اللهُ السّـلامُ ومِنْـه السّـلامُ وعَـلى جَبرائِيل السّـلام)**.[1]

جوابُـكِ هذا يـا مولاتي يبيّن المستوى الرفيـع لأدَبِكِ الرّاقـي.. ويبيّن مستواكِ المَعْـرَفي العالي.. ويبـيّن ما لديكِ مـن مخزونٍ عَقَـديٍّ ايـمانيٍّ أدبيٍّ أخلاقيٍّ عميق.

أن يبعـثَ اللهُ سـلامَه اليـكِ مُرْفَقًـا بالبشـارة بالجنّـة وذلـك على لسـان رسـوله ﷺ عـبر جبرائيـل عليه السلام.. فهـذا مـن خصائصـكِ التـي ميّزكِ بهـا عن بقيـة زوجات نبيّنـا الكريـم ﷺ. فهنيئًـا لـكِ يـا خديجـة. ما أسـعدنا بـكِ يـا أمَّ المؤمنـين المُجَلَّلـة المُكرَّمـة المُؤدَّبـة المُعَظَّمـة المحترمـة...

هـذه أنـتِ.. وهـذا مـا صرّح بـه ﷺ في قولـه: **(لَمَ يَرزُقْنـي اللهُ زوجـةً أفضـلَ مِـن خَديجَـة أبَدًا)**.[2] وقولـه: **(خَدِيجَـةُ وَ أَيـنَ مِثْلُ خَدِيجَـةَ صَدَّقَتْنِي حِـينَ كَذَّبَنِي النَّاسُ**

(١) تذكرة الخواص: ص٣٠٢
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١ ص٨٠

وَ آزَرَتْنِي عَلَى دِينِ اللهَّ وَ أَعَانَتْنِي عَلَيهِ بِمَالِهَا، إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَ جَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ بِبَيتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبِ الزُّمُرُّدِ لَا صَخَبَ فِيهِ وَ لَا نَصَب).[1]

(١) المناقب، للخوارزمي: ص ٣٥٠. وكشف الغمة في معرفة الأئمة، للإربلي: ج ١ ص ٣٧٠

الخصّيصة العاشرة..

هي الحُبُّ العميقُ الطاهرُ المقدّسُ مِن رسولِ ربّ العالمين إليكِ يا خديجة.. حُبٌّ لا يُدانِيه شكٌّ ولا يُوازِيه حُبٌّ لغيركِ يا أمَّ فاطمة...

وهذا ما قاله ﷺ حينما قال عنكِ: **(أَحْبَبْتُها مِن أَعْماقِ فُؤاد)**[٢]

ولم يُخْفِ ﷺ هذا الحبَّ المقدَّس لكِ عن بعض زوجاتِه حينما قال لهنّ: **(أحِبُّ مَن يُحِبُّ خَديجَة)**.[٣]

(٢) العوالم، البحراني: ج ١١، ص ٣٢.
(٣) رياحين الشريعة، محلاتي: ج ٢، ص ٢٠٦.

وأضاف لهنّ قولَه: **(إنّي رُزِقتُ حُبّها)**.[1] وقال: **(إنها كانتْ، وكانتْ، وكانَ لِي مِنْها الأوْلاد)**.[2]

زوجةٌ مثلكِ يا سيّدةَ نساءِ زمانِها وأنتِ بتلك المواصفات الممتازة والمؤهّلات الرائدة والمواقف المُشرِقة سيظلّ حُبُّها في قلب زوجِها ولن تُمْحىٰ صورُ طيبِها ولن يُنسى حُسْنُ خُلُقِها.. وستبقى ذكرياتُها وصورُ مواقِفِها الرساليّة ماثِلةً في ذاكرتِه طول الحياة.. فهذا هو زوجكِ الرسول الأكرم ﷺ الذي ما فتئ إلا وكان يذكركِ بالخير ويتكلّم عن كمالكِ وجلالكِ كما كان يتكلّم عن عمِّه المؤمن أبي طالب (رضوان الله عليه)...

نعم.. ومثلُكما تستحقّان من رسول الله ﷺ هذه الشهادة العظيمة: **(لم يُسيطِر عليّ الحُزْن والهَمّ طِيلةَ حياةِ أبي طالِب وخَديجة)**.[3]

---

(١) الأنوار الساطعة - الشيخ غالب السيلاوي - ص ٢٧٧
(٢) صحيح البخاري: ج٤ ص٢٣١.
(٣) كشف الغمة، الأربلي: ج ١، ص ١٦ – كحل البصر، المحدث القمي: ص ٥٥.

تلك يا سيّدتي كانت عشرًا مِن خصائصكِ الكثيرة الدالّة على أنكِ كنتِ مؤيَّدةً مِن الله تعالى.. وكنتِ أقرب زوجاتِ النبيّ الكريم الى روحِه وأعزّهن الى نفسِه وأحبّهن الى قلبِه، لذلك غدا حزنُه على وفاتكِ شديدًا جدًّا حتى أطلق على العام الذي وقعتْ فيه وفاتكِ (عام الحزن) ووفاةُ عمِّه أبي طالب بفارقِ أيّام من العام العاشر بعد البعثة النبويّة الشريفة..

ثم لم يعد -بأبي هو وأمّي- يطيق أذى المشركين له وللمسلمين القلّة فهاجَرَ بأمر الله مِن بعد رحيلكِ بثلاث سنوات الى مدينة «يثرب» التي تنوّرتْ بنور قدومِه المبارك وكانت هجرتُه مقدّمةً لفَتْح مكّة وخِزْيِ المشركين.

إنّه الحزنُ يا خديجة على فراقكِ وأنتِ الأمينة على أسرار بيت النبوّة.. يا مَن قال صلى الله عليه وآله وسلم عنكِ ما رواه الإمامُ موسى الكاظم عليه السلام: (**إنّ اللهَ اخْتَارَ مِن النّساءِ**

أَرْبعًا.. مَرْيَم وآسِيةَ وخَدِيجةَ وفاطِمة).[1] وقال: **(خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ أَرْبَعٌ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَابْنَةُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتٌ مُحَمَّدٍ).**[2]

ولم يَثْلُ جُهْدًا ولم يترك فرصةً زوجُكِ الرسول الأكرم (روحي فداه) إلا وبَيّنَ فيها للمسلمين مقامَكِ ومقامَ ابنتكِ فاطمة.. ذلك لعلّ وعسى أن لا تظلمكما بقايا الجاهلية. فما قال أيضًا في فضلكِ ومنقبتكِ وفَضْل ومنقبة ابنتكِ: **(كَمُلَ مِن الرّجالِ كَثِيرٌ، ولَمَ يَكْمُلْ مِن النّساءِ إلّا مَرْيمُ، وآسِيةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ).**[3]

مولاتي يا خديجة.. يا عزيزةَ المصطفى محمّد.. يا أمَّ الزهراء فاطمة.. يا عمّةَ المرتضى عليّ.. يا جدّةَ سيّدَيْ شباب أهل الجنّة الحسن والحسين.. ومع ذلك

(١) بحار الأنوار: ج١٦ ص٢
(٢) الاستيعاب ج٤ ص٣٨٣
(٣) جامع البيان ج٣ ص٣٥٨

فقد ظلموكِ واعتدوا على ابنتكِ فاطمة وعلى أسباطكِ ذكورًا وإناثًا.. واستمروا على هذا التأسيس للظلم الفظيع حتى نتجتْ عنه مجزرةُ الطفّ الفجيعة.. يوم ذبحوا سبطكِ الحسين وإخوتَه وأولادَه وسَبَوْا سبطكِ زينب أمَّ المصائب وحملوا الأطفال والنساء سبايا.. تتقدّمهم رؤوسُ الشهداء على الرماح.. فـ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ**﴾(٤)

سيّدتي.. والتفاصيلُ غيرُ خافيةٍ عليكِ يا أيّتها الشاهدةُ بروحِها الباكية على آلام عاشوراء الدامية...

(٤) سورة البقرة / ١٥٦

وفي الختام:

أختمُ سطوري ببعضِ كلماتِ الشُّجون...

ولكنْ ما لي أرى قلمي يرتجف؟!

أ لِهَـوْلِ المصيبـة وشـدّة ثِقْلِهـا عـلى قلـب الحبيـب المصطفـى.. أم لِيُتْـمِ فاطمـة الزهراء بعدكِ.. أم لانكسـار قلبـي وأنا أقـرأ وصيّتكِ الحزينـة.. أم لأمـورٍ لا أعرفها.. أم لكلّهـا مُجتمَعـة؟!

يـا أيّتهـا الأولى بامتيـاز...لا أدري ولكنّي سـأحاول تسـطيرَ مـا بَقِـيَ منّـي اليـكِ مـن كلـماتٍ ذاتِ آهـاتٍ وِداعِيّـة.. إنّهـا كانـت سـاعةً مفجعـةً عـلى قلـبِ زوجكِ نبـيّ الأمّـة وعـلى قلـبِ يتيمتِـكِ فاطمـة وعـلى قلـوبِ

جميع الذين عرفوا قَدْرَكِ وثمّنوا دَوْرَكِ ولَمسوا كرمَكِ وحضروا آلامَكِ في زمن الاضطهاد الجاهلي قبل الهجرة...

في مثل هذه الساعة العصيبة لا شكّ أنّ صورَ الذكريات الجميلة الممزوجة بالألم والمظلوميّة ستفرض نفسَها على زوجكِ الحبيب ﷺ وهو يُلَمْلِم مقدّمات الوداع ويستعدّ لمرحلة ما بعد الحزن والحداد.. والمصائبُ كلُّها بعين الله تعالى.

هكذا وقد دنى وقتُ الرّحيل.. وكان موعدُ عروجكِ في العاشر من شهر رمضان.. في السنة العاشرة من البعثة النبويّة الشريفة، وكان قد مضتْ على عُمُركِ المليء بالعبادة والعطاء والجهاد والولاء والتضحية والفداء خمسةٌ وستّون عامًا.

والآن يا خديجة قد حان وقتُ الوصيّة!! ماذا عندكِ أيّتها الزوجة الرائعة لنبيّ الإسلام.. يا مَن

رفعتِ رايتَه المضيئةَ في جُنْحِ الظلام.. يا مَن أدّيتِ مسئوليّاتكِ الشرعيّة في كلّ المجالات وبأعلى درجات الامتياز والتفوُّق.. ماذا عندكِ لحبيبكِ محمّد مِن وصيّةٍ توصين بها؟

ذَكَرَتْ الرواياتُ أنكِ لّما اشتدّ عليكِ المرضُ واقتربتْ مِنكِ أجنحةُ الموت وأخذتْ الملائكةُ تجتمع حولكِ للتّحْلِيق بكِ الى الجنّة التي بشّركِ اللهُ بها.. قلتِ لزوجكِ الحزين على فراقكِ: يا رسول الله اسمعْ وصاياي...

أوّلاً: (إنّي قاصِرةٌ في حقّكَ فاعْفُني يا رَسولَ الله).

ما أجمل أدبكِ يا خديجة وأنتِ تطلبين العفوَ من زوجكِ على تقصيرٍ لم يصدر عنكِ أبدًا.. ولذلك أجابكِ ﷺ: **(حاشا وكلّا، ما رأيتُ منكِ تقصيرًا، فقد بَلغتِ بِجُهدِك، وتَعبتِ في داري غايةَ التّعب، ولقد بَذلتِ أمْوالَكِ وصَرفتِ في سَبيلِ اللهِ مالَكِ).**

ثانيًا: **(أوصيكَ بهذه ـ وأشَرتِ إلى فاطمة ـ فإنّها يتيمةٌ غريبةٌ مِن بعدي، فلا يُؤذِينَها أحدٌ مِن نساءِ قُرَيش ولا يَلْطِمَنّ خَدَّها ولا يَصِيحَنّ في وَجْهِها ولا يُرِيَنَّها مَكْروهًا).**

سيّدتي خديجة.. قلتِ هذا وكأنكِ تعلمين ماذا سيَحدُث لابنتكِ فاطمة من بعد وفاةِ أبيها النبيّ الأعظم...

ولقد آذَوْها يا خديجة بِغصْبِ نِحْلتِها ومصادرةِ فَدَكِها...

ولقد عصروها بين الباب والجدار حتى أسقطوا جنينَها.. ثم لَطَمُوها كلّما حاولتْ دون اقتحام بيتها...

ولقد صاحوا في وجهِها وأرَوْها كلّ مكروهٍ حتى ماتتْ وهي ابنة الثامنة عشر.. وحيدة أبيها رسول الرّحمة ونبيّ العزّة وصاحب الخُلُق العظيم وقيمة المروءة...

ثالثًا: (يا رَسولَ الله إنّي خائِفةٌ مِن القَبْر، أُريدُ مِنكَ رِداءَكَ الذي كانَ عَليْك حِينَ نُزولِ الوَحْي.. فَتُكَفِّنني بِه).[1]

هنا قام زوجكِ نبيُّ الله محمّد فذهب وأتى بذلك الرّداء المبارك وسَلَّمَه إليكِ وتَعَهَّدَ لكِ بتكفينكِ فيه.

وتنقل بعضُ الروايات أنّكِ طلبتِ من صغيرتكِ فاطمة أن تكلّمَ أباها بهذا الطلب لغلبةِ الحياءِ عليكِ في الكلام المباشر معه ﷺ!!

لا يُستبعَد ذلك.. فأنتِ كلُّكِ حياءٌ واحترام.. رِقّةٌ وحنان.. تَواضُعٌ وبيان.. حكمةٌ وعزّةٌ وكرامةٌ في وجدان.. أنتِ منظومةٌ من كلّ القِيَم الفاضلة يا سيّدتي ومِن جميع المُثُلِ العليا...

يا خديجة.. وبدأ العَدُّ التنازُلي لنبضاتِ قلبكِ الطيّب.. ساعد اللهُ قلبَ زوجكِ رسول الله ﷺ...

(١) شجرة طوبى ٢/ ٢٣٤

لا أنسى هنا أنْ أذكُرَ لحظاتكِ الوداعيّة وأنتِ في الرّمَقِ الأخير تنظرين مِن خَلْفِ دموعكِ الساخنة إلى ابنتكِ فاطمة وهي جالسةٌ بجوارِكِ باكيةٌ بِبكائِكِ، فسألتْكِ أسماءُ بنت عُمَيْس مِمّ بكاؤكِ يا سيّدتي وأنتِ خديجة زوجة نبيّ الاسلامِ والأمّة؟! فأخبرتيها أنّ بكاءَكِ ليس مِن الموت والقبر.. بل لابنتكِ فاطمة.. مَن ستكونُ لها في ليلةِ زفافِها لمّا تَبلغ فتحتاج الى ما تحتاجُه الفتاةُ في تلك الليلة. فما كانت مِن أسماءِ بنت عُمَيْس هذه المرأة الصالحة إلا أنْ تعهّدتْ لكِ بأنْ تكونَ أمًّا لها في ليلةِ زفافِها. وقد وَفَتْ بما تعهّدتْ.. وكانت خير وَفِيّة.[٢]

سيّدتي وأنتِ على المُغتسَل لا يمكن وصفُ حالِ زوجكِ المصاب بكِ في مصيبةِ الرّحيل.. كم كان يتألّمُ حين تجهيزكِ وحين تغسيلكِ وحين تحنيطكِ...

(٢) رياحين الشريعة، محلاتي ج ٢، ص ٤١٢

وأمّا حين تكفينكِ فقد هَبَطَ عليه الأمينُ جبرائيل عليه السلام وقال له صلى الله عليه وآله وسلم: **(يا رَسولَ الله، إنّ اللهَ يُقْرِئُكَ السّلامَ ويَخصُّكَ بالتحيّة والإكرام ويَقولُ لك: يا محمّد إنّ كَفَنَ خديجة مِن عِندِنا، فإنّها بَذَلَتْ مَالَها فِي سَبيلِنا)**. فجاء جبرائيلُ بِكَفَنٍ، وقال: **(يَا رَسولَ الله، هذا كَفَنُ خَديجَة، وهُو مِن أكْفانِ الجنّة أهْداهُ اللهُ إليْها)**.[1]

يا إلهي على سُمُوِّ هذا المقام.. هنيئًا لكِ بهذه الهديّة السماويّة من الله العليّ العلّام. فمَن مثلُكِ يا بنتَ خُوَيْلد يا حليلةَ نبيِّ الاسلام؟!

وهكذا.. فقد كفّنكِ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بردائه الشّريف أوّلاً، ثم بما جاء به جبرائيل.. فكان لكِ كَفَنان: كَفَنٌ من الله، وكَفَنٌ مِن رسوله.

ما أعظم قَدْركِ.. وكذلك هم الأولياء المقرَّبون وعبادُه المكرَّمون...

(١) شجرة طوبى للشيخ الحائري: ج٢، ص ٢٣٥

ثم يا لها من ساعةٍ صعبةٍ وعصيبة كانت.. تلك الساعة التي أنزلكِ زوجُكِ المصطفى ﷺ الى قبركِ في مقبرة «الحَجُون» في مكّة المكرّمة!! آهٍ لقلبكَ يا صاحبَ القلب الكبير.. يا مالكَ القلوب الطيّبة في طول المسير.. أيّها المبعوثُ رحمةً للعالمين و﴿**شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا**﴾.[٢] بأبي أنتَ وأمّي يا رسولَ الله يوم نزلتَ بنفسِكَ في قبر حبيبتِك.. ثم أنزلتَها فيه لِيطيبَ ثراها ولتقرّ عَيْنُها بتنفيذكَ وصيّتَها!!

سيّدتي.. يعتصر قلبي على مصابِ زوجكِ المُعَزّىٰ بمصيبتِكِ أيّتها الراحلةُ الشامخة الى مثواك الأخير والمستقرّة عند مليكٍ مُقْتَدِر...

وجاء ﷺ الى ابنتكِ الوحيدة فاطمة عليها السلام ليُواسيَها برحيلكِ.. فَحَضَنَها وقَبَّلَها.. ومَسَحَ على رأسِها.. وقال لها: (**إنّ جبرئيلَ عليه السلام عَهِدَ إليَّ أنّ**

(٢) سورة الأحزاب/ ٤٥ – ٤٦

بيتَ أمّكِ خديجة في الجنّة بين بيتِ مريم ابنة عمران، وبين بيتِ آسيةِ امرأة فرعون، مِن لُؤلؤٍ جَوْفَاء، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَب).[1]

ولعله أخبرها أيضًا وهو الذي لا ينطق عن الهوى.. واصفًا ورودَكِ المَهيب في يوم الحشر قائلًا: **(يأتِي لاسْتقْبالِها سَبعُونَ ألفِ مَلَكَ يَحمِلُونَ رَاياتٍ زُيّنَتْ بِعبارةِ «اللهُ أكْبَر»).**[2]

سيّدتي.. لقد ارتحتِ مِن هَمّ الدنيا وغمِّها وبقي المشوارُ الأصعب من بعدكِ لابنتكِ فاطمة ثم لابنتها زينب لتذوقا أشدّ مما أذاقوكِ سَفَلَةُ الجاهلية...

كم أنتُم عظماءٌ مظلومون يا أهلَ بيتِ محمّد.. يا شَجَرَةَ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الْمَلاَئِكَةِ، وَمَعْدِنَ الْعِلْمِ، وَأَهْلَ بَيْتِ الْوَحْيِ...

(١) شرح الأخبار. للقاضي النعمان، تحقيق محمد الحسيني الجلالي، ج٣، ص١٧
(٢) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج ٩، ص ٢٢٥

وختامي لهذه السطور الأخيرة أيّتها المليكة يا أميرةَ الأمّة.. أضَعُ بين يدَيْ قرّائي ما رثاكِ به صهرُكِ أمير المؤمنين عليه السلام ورثىٰ أباه البطلَ الضرغام عضيدَ زوجكِ وكفيلَه أبا طالب (رضوان الله عليكِ وعليه):

أَعَيْنَيَّ جُودَا بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا
عَلَى هَالِكَيْنِ لَا تَرَىٰ لَهُمَا مِثْلًا
عَلَى سَيِّدِ الْبَطْحَاءِ وَ ابْنِ رَئِيسِهَا
وَ سَيِّدَةِ النِّسْوَانِ أَوَّلِ مَنْ صَلَّىٰ
مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللهُ خِيمَهَا
مُبَارَكَةٌ وَ اللهُ سَاقَ لَهَا الْفَضْلَا
فَبِتُّ أُقَاسِي مِنْهُمَا الْهَمَّ وَ الثَّكْلَا
مُصَابُهُمَا أَدْجَىٰ إِلَى الْجَوِّ وَ الْهَوَا
لَقَدْ نَصَرَا فِي اللهِ دِينَ مُحَمَّدٍ
عَلَى مَنْ بَغَا فِي الدِّينِ قَدْ رَعَيَا إِلَّا[٣]

(٣) ديوان أمير المؤمنين عليه السلام، حسين بن معين الدين الميبدي (المتوفى ٩١١ هـ) ص ٣٥٩

(صَلّىٰ اللهُ عَلَيْكِ يا زَوْجَةَ رَسُولِ اللهَّ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وخاتَمِ النَّبِيّينَ، صَلّىٰ اللهُ عَلَيْكِ يا اُمَّ فاطِمَةَ سيّدة نساء العالمين، صَلّىٰ اللهُ عَلَيْكِ يا اُمَّ الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ سَيِّدَيْ شَبابِ اَهْلِ الْجَنَّةِ اَجْمَعينَ، صَلّىٰ اللهُ عَلَيْكِ يا جدّةَ الْأَئِمَّةِ الطَّاهِرينَ، صَلّىٰ اللهُ عَلَيْكِ يا الْمُؤْمِناتِ والْمُؤْمِنينَ.. يا مَنْ وَفَتْ بِالْعُبُودِيَّةِ حَقَّ الْوَفاءِ، وَ اَسْلَمَتْ نَفْساً وَ اَنْفَقْتَ مالَها لِسَيِّدِ الْأَنْبياءِ.. يا قَرينَةَ حَبيبِ اِلٰهِ السَّماءِ.. يا حافِظَةَ دينِ اللهَّ وناصِرَةَ رَسُولِ اللهَّ.. صَلّىٰ اللهُ عَلَيْكِ يا مَنْ تَوَلّى دَفْنَها رَسُولُ اللهَّ، وَ اسْتَوْدَعَها اِلى رَحْمَةِ اللهَّ، اَشْهَدُ اَنَّكِ حَبيبَةُ اللهَّ وَ خِيَرَةُ اُمَّتِهِ، وأنَّ اللهَّ جَعَلَكِ في مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ في قَصْرٍ مِنَ الْياقُوتِ وَ الْعِقْبانِ في اَعْلى مَنازِلِ الْجِنانِ، صَلَّى اللهَّ عَلَيْكِ وَ رَحْمَةُ اللهَّ وَ بَرَكاتُهُ).

وآخِرُ دَعْوانا أنِ: ﴿**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾.[1]

الرّاجي شفاعتَكِ من الله الغنيّ:
عبدالعظيم المهتدي البحراني

(١) سورة الأعراف/ ٤٣

الفهرس

آية الكتاب ٧
رواية الكتاب ٨
شعار المؤلف ٩
كلمة الإهداء..... ١١
المقدّمة ١٣
يا أيّتُها الأولى بامتياز..... ٢٩
الخصّيصة الأولى.. ..... ٦٥
الخصّيصة الثانية.. ..... ٦٨
الخصّيصة الثالثة.. ..... ٧١
الخصّيصة الرابعة..... ٧٣
الخصّيصة الخامسة..... ٧٦
الخصّيصة السادسة..... ٧٩
الخصّيصة السابعة.. ..... ٨٤
الخصّيصة الثامنة.. ..... ٨٦
الخصّيصة التاسعة.. ..... ٩٢
الخصّيصة العاشرة..... ٩٥
وفي الختام: ١٠٠

نقاطٌ عن المُؤلِّف ومَنهجِه الفكري والعملي:

* بدأ يكتب في القضايا الاسلاميّة منذ السابع عشر من شبابِه.. وفي سنة (١٩٧٨) طُبِعَ له أوّلُ كتيّبٍ والى هذه السنة ٢٠٢١ تجاوز عددُ مؤلّفاتِه الـ (١١٠) كتابًا وكتيّبًا مع هذا الكتيّب الذي بين يديك، وله عددٌ من الكتب تنتظر الطباعة.. وآلاف المقالات والبيانات والمحاضرات في أكثر المناسبات...

* كَتَبَ في العقيدة ، والفقه ، والتاريخ، والأخلاق، والتربية، والتفسير، والأسرة، والمجتمع، والسياسة، والشعائر الحسينيّة، وقضايا الشباب، وشئون العلماء والحوزات العلميّة...

* يجمع بين الأصالة والتزامِ الثوابت وبين تحديث الخطابِ المعاصر...

* يعتقد بضرورةِ النقد البنّاء في أسلوبِ الحكمةِ ورعاية الأدب ومستوى الأولويّات ووجوب التغاضي عن نَقْدِ غيرِها...

* يغلب على فكرِه الطابعُ الوَعْظي والنصائحُ الهادئة والحثّ على الحوارِ واللاعنف في طريق التغيير والاصلاح مُستنِدًا على جناحَيْ الآياتِ الكريمة والروايات الشريفة...

* ينتمي الى المنظومةِ المرجعيّة العامّة بتواصلِه مع جميعِ المراجع العُدول ونَبْذِه عقليّة التّخَنْدُق...

* يقدّم مبادراتٍ فكريّة وله سَبْقٌ في كثيرٍ من أطروحاتِه العمليّة لحلّ المشكلات النفسيّة والعائليّة والاجتماعيّة والسياسيّة والحوزويّة...

* يهتمّ بالعمل المؤسَّساتي والدّعم الخيري والخدماتِ الدؤوبة في جميعِ ما يتّصل بالشعائرِ الحسينيّة، ومسائل التثقيف الاسلامي ...

مكتب العلامة المحقق

0097336445446
www.almuhtadi.com
AlMuhtadiOffice
info@almuhtadi.com